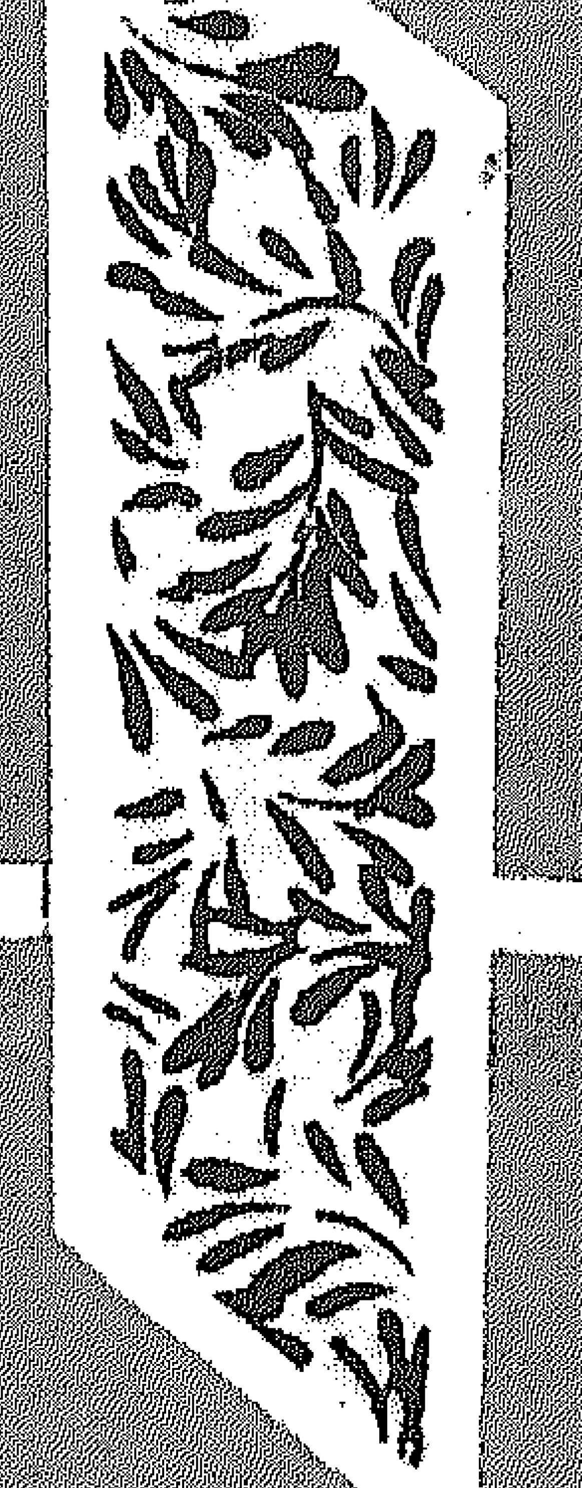


عالم

الكتب والقراءة والمكتبات



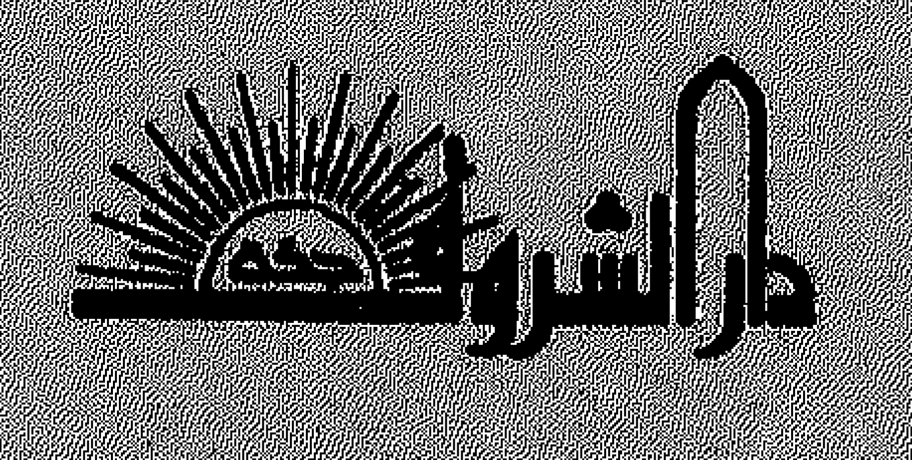


بقلم

الدكتور محمد أمين البنهاوي

الأستاذ المشارك بقسم المكتبات والمعلومات

بجامعة الملك عبد العزيز




عالم
الكتب والقراءة والمكتبات

الطبعة الأولى

١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م



للنشر والتوزيع والطباعة

جدة - المملكة العربية السعودية - تليفون : ٢٦٦١٠ - ص.ب : ٤١٤٦ - س.ت : ٨٤٢٨ - برقيا : مشكاتنا

عالم

الكتب والقراءة والمكتبات

بقلم

الدكتور محمد أمين البنهاوي

الأستاذ المشارك بقسم المكتبات والمعلومات

بجامعة الملك عبد العزيز



للنشر والتوزيع والطباعة

برقياً : مشكاتنا - ص.ب : ٤١٤٦

بسم الله الرحمن الرحيم

إِهـــدَاء

.الى « ن . ع . م . »

تلبية لرغبة قديمة ووفاء بعهد قطعت

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

عالم الكتب والقراءة والمكتبات عالم شيق جذاب، مليء بالاثارة والحيوية، يسمو بالمرء الى أرقى درجات المعرفة والثقافة والحضارة والعصرية. وعالم الكتب والقراءة والمكتبات هو عالم النقاء والطهارة والصفاء، فبالكتب والقراءة تمكن الانسان من بلوغ أرفع غاياته وأعلى طموحاته، واستطاع التمييز بين الحق والباطل، وبين الثمين والغث. ولولا الكتب، تلك السجلات التي تسطر فيها أعمق أفكار البشر وأروع أعماله، لاضطر كل جيل الى أن يعيد اكتشاف حقائق الماضي لنفسه، لا يساعده في ذلك سوى التراث المنطوق أو كلمات الفم التي لا بد لها من التشويه والتحريف في روايتها واعادة روايتها. فالكتب اذن تمنحنا وثيقة دقيقة وباقية لكل ما فكر فيه الآخرون.

والكتب هي معدات الذكاء كما هي معدات الضلال والخطأ، اذ أنها تعبير وانعكاس لمزايا ونقائص العقل البشري. وتلعب القراءة المرّشدة، وخاصة في سنوات الطفولة والحداثة، دورا حاسما في توجيه الذهن نحو الكتابات النافعة والصالحة والصادقة. وكلما زاد حبنا للكتب الجيدة واقبالنا عليها واستخدامنا لها كلما وضحت معالم آثارها وثرواتها التي لا تحدها حدود.

تأمل ما تستطيع الكتب أن تفعله في تنمية المرء: في تكوين شخصيته وتشغيل ذكائه واثراء حصيلته وتعميق أحاسيسه! ان كل جيل يمهد الطريق ويوسعه للجيل الذي يليه، وبالكتب استطعنا أن نعبر القرون ونبني حضارة اليوم.

عزيزي القارىء.. ان عالم الكتب والقراءة والمكتبات قريب الى كل قلب،

حميم الى كل نفس، متسلل الى كل فكر ووجدان، عالم لا يتخلى عنه أي مثقف أو دارس أو محب للاستطلاع، فالكتب والمكتبات كالمنارات العالية في بحار العلم الواسعة تشيع الضوء في كل اتجاه، ويستأنس بها كل من يريد الاهتداء والوصول الى بغيته، فيما تقف هي شامخة في صمت وتحمل شديدين. إنه عالم كبير يزخر بالأسرار والمعلومات عن كل شيء. وبالمقارنة مع وسائل الاتصال الأخرى أضحى الكتاب في يومنا هذا أبسط وأرخص وأسهل «آلة» يمكن التعويل عليها لا يصال المعلومات، بالاضافة الى أنه أفضل أداة للتحصيل العلمي، وخير مصدر للمعرفة تجده دوما بالقرب منك، وأكبر مستودع للحكم والمنجزات المتراكمة من صنع تعاقب الأجيال.

وقد حرصت - أيها القارىء العزيز - على تبسيط أسلوب هذا الكتاب الى الحد الذي يتيح لأكبر عدد من قراء العربية فرصة الاطلاع، ايمانا مني بأن تبسيط العلم في عصرنا هذا لم يعد خروجا عن المألوف، وانما ضرورة تحتمها الدعوة الى القراءة في مختلف المجالات، فالملاحظ أن بعض القراء يخشى الاقتراب من بعض المجالات اما لغرابتها عنه أو لصعوبتها على مداركه أو لتعقد الأسلوب الذي تكتب به. وليس هذا الكتاب بالتأكيد كتابا دراسيا أو مقررا على طلاب الجامعات، ولو أن طلاب علوم المكتبات والمعلومات والتربية وغيرهم قد يستفيدون منه في بعض نواحي دراساتهم.

ويضم هذا الكتاب مجموعة مقالات بقلم المؤلف نشر أغلبها في مجلة «اقرأ» وصحيفة «البلاد» السعوديتين على مدى خمس سنوات من عام ١٣٩٦ الى ١٤٠٠ هـ (١٩٧٦ - ١٩٨٠م) ولكني هنا قمت باعادة كتابتها وتحريرها وتنظيمها حتى تظهر في الشكل المناسب المطلوب.

والذي يلقي نظرة على قائمة محتويات الكتاب يلاحظ على الفور اهتمام المؤلف بالموضوعات التي لا يتطرق اليها المؤلفون عادة، ومنها «الببليومانيا» و «العلاج بالقراءة» و «ومكتبة السوبر ماركت» و «الخدمة المكتبية تدخل المستشفى» و «المكتبة وراء الأسوار» على سبيل المثال وليس الحصر. وقد يلفت نظر القارىء أيضا تركيز المؤلف على جانب من أهم جوانب حقل المكتبات وأكثرها حيوية وهو «الخدمة

المكتبية» الذي قلما تناولته الأقلام العربية. فالخدمة المكتبية تعتمد على كفاية وتدريب القوى البشرية العاملة في حقل المكتبات والمعلومات ولا تقل شأنا عن قوة المجموعات المكتبية واكتمالها، ومن أجل الخدمة المكتبية أنشئت مدارس ومعاهد المكتبات منذ نيف وقرن من الزمان، ومن أجل تحسينها قامت برامج التدريب هنا وهناك على مختلف المستويات، ومعظم رواد المكتبات يتأثر بالخدمة أكثر من تأثره بالمجموعات، فما قيمة المجموعات الضخمة الجيدة ان لم تصحبها خدمة فعالة تنير السبيل أمام القراء وتوفر عليهم مشقة البحث والاجتهاد ؟! ان مكتبة بلا خدمة مثل مستشفى بلا أطباء وممرضين أو مثل مدرسة من دون أساتذة ومدرسين.

وعلى الرغم من محاولات المؤلف ودأبه على اكساب كتابته لونا عالميا فان مقالاته لا تخلو من اشارات عديدة الى أوضاع المكتبات وخدماتها في الولايات المتحدة الأمريكية. ولا يجد المؤلف غرابة في ذلك، فقد كان للولايات المتحدة على الدوام قصب السبق في تطوير المكتبات والنهوض بها، وأغلب أدب المكتبات مكتوب بأقلام أميركية، وأول مدرسة نظامية لتلقي علوم المكتبات كانت مدرسة أميركية، وأول جمعية مهنية ترعي شئون المكتبيين وتدافع عن حقوقهم ومكاسبهم هي بالقطع جمعية أميركية، حتى ليهيأ للمرء أحيانا أنه لولا اهتمام ذلك البلد بالمكتبات وعلومها لتخلفت المكتبات وخدماتها بما لا يقل عن نصف قرن عما هي عليه الآن في العالم بأسره. أقول هذا حتى لا أفهم خطأ بأنني متأثر أو «منحاز» لهذه الدولة أو تلك.

وسوف يجد القارىء في النهاية بعض المأثورات والأقوال عن الكتب والقراءة، وقد قمت باختيارها وجمعها من المصادر الأجنبية المعتمدة ورتبتها ترتيبا زمنيا لعل في هذا الترتيب ما يعكس تطور نظرة العمالقة اليها.

بقيت نقطة أخيرة تتعلق بقائمة المراجع التي ترد في آخر الكتاب، وهي في الواقع قائمة جزئية غير كاملة نظرا للقراءات العديدة التي قام بها المؤلف لكنه آثر الاكتفاء بذكر الأعمال «المهمة» منها فقط، باعتبار أن الفهارس والببليوجرافيات والكشافات المطبوعة كفيلة بحصر كل ما يريد القارىء أن يستمد منه قراءته الموسعة.

وفي الختام لا أملك غير أن أتمنى لكل من يرغب القيام بجولة في عالم الكتب والقراءة والمكتبات أن يشعر بالمتعة والبهجة في القراءة التي من أجلها خرج هذا الكتاب الى حيز الوجود. وأسأل الله التوفيق.

أكتوبر ١٩٨٠

المؤلــف

الكُتبُ جَامِعَات لِكلِّ العصُور

ما هي الكتب:

الكتب أفكار أسرت ثم حبست، فآمال الانسان العريضة وعقائده الثمينة ولحظاته، الهامه ترقد جميعها على صفحات الكتب. والأفكار تخطر بالأذهان التي تعيها لفترة قصيرة، وبعد ذلك يكون النسيان مصيرها ان لم تسجل، بل ان كثيرا منها يستحيل استرجاعه. لذلك فان الكتب تحوي عصارة أفكار البشرية القيمة. وكم من الأفكار التي لم تسجل، أوكم من حكم ومآثر الأجيال مفقودة لدينا، فهذا ما ليس لنا به علم.

والكتب أساتذة متنقلون، فاذا القى أحد الباحثين البارزين محاضرة قطع الكثيرون منا مسافات طويلة للاستماع اليه في وقت ومكان محددين. وبعد انتهاء محاضرته وخبو صوته لا يتبقى لدينا غير بضع كلمات وذاكرة مهزوزة مما قاله. فنحن لا نستطيع ارغامه أو حتى سؤاله أن يكرر نقاطا أو عبارات معينة غاب عنها بالنا، أو أن يزودنا بمعلومات اضافية نشعر أننا في حاجة اليها. . على عكس الكتب التي تظل قابعة في صبر على الرفوف حتى نحتاج اليها، أو حتى نحملها الى أي مكان نريده، فهي لا تحتاج الى مواعيد محددة ولا أن تلقن في أماكن بعيدة، بل انها تمنحنا ما نطلبه من معلومات في كل مرة نتطلع اليها.

والكتب أيضا مخازن للمعرفة، والمخازن ليست سوى مباني ضخمة تختزن بها البضائع الهامة وغير الهامة حتى يأتي الوقت لبيعها واستهلاكها. والكتب، كالمخازن، لها طاقة هائلة على التخزين، وانما ليست هناك وسيلة لمعرفة مقدار ما تخزنه بالدقة. لكن المكتبة التي بها مائتان أو أكثر أو أقل من الكتب المختارة بعناية، تحوى جهود وتجارب مؤلفيها التي قاموا بها خلال حياتهم الطويلة، وتصبح الأفكار والحقائق التي هي نتاج خمسين سنة من التجربة والدراسة والخبرة، تصبح جاهزة سهلة المنال في كتاب صغير.

وتختلف المعلومات المختزنة في الكتب من حيث قيمتها. فكما أن هناك مخازن مليئة بالأقمشة الحريرية، والبضائع المستوردة الغالية، ومخازن لا تحوي الا الملابس القديمة الممزقة، أو الأثاث القديم المتهالك، كذلك الكتب بعضها يضم أجمل وأصدق الأفكار والمعلومات، بينما البعض الآخر يمتلىء بالأفكار الصدئة والمعلومات عديمة الفائدة.

والكتب أصدقاء لنا تصحبنا الى الأماكن البعيدة، فهي تدخل في حياتنا تجارب يشق علينا تجربتها، وهي توسع وتعمق فهمنا لطبائع الانسان ومشكلات جيراننا في مجتمعنا وفي العالم كله، وهي تحاول أن تدخل في أذهاننا أن هناك أمورا هامة خارج عالمنا الخاص الضيق يجب أن نعلمها ونتدبرها.

والكتب تقودنا خلال تاريخ الانسانية وتساعدنا على تفهم أنفسنا وموضعنا في هذا العالم ومصيرنا. فأفكار وعلم وتجارب ألوف الرجال والنساء الذين أحسوا بضرورة تسجيلها من أجل الآخرين تتكشف في الكتب.

والكتب أدوات العمل، فكل من له صلة بالتربية أو التعليم يعتبر الكتب أدوات لازمة لعمله. ففي التعليم نحتاج بصفة مستمرة الى كل أنواع الحقائق والتفسيرات والأفكار. ونحن نستخلص مما اكتشفه أو فكر فيه الآخرون مادة نستعين بها على التدريس، وعلى تحسين وسائل دراستنا وتدريسنا.

مدى أهمية الكتب:

على الرغم من الزيادة الملحوظة في نشر الكتب هذه الأيام، لا يزال هناك عدد كبير من الناس الذين لايقرؤون أكثر من كتاب واحد في السنة. وهذا الأمر يستدعي اعادة النظر فيما هو المسئول عن قلة القراءة، كما يستدعي التذكير بأهمية وفوائد الكتب.

وفي عصر العقول الآلية كعصرنا هذا، يسود الاعتقاد بأن أفضل اختراع قام به الانسان هو «العجلة الدوارة». وهذه الفكرة خاطئة لأسباب كثيرة واضحة، فاختراع العجلة يعتبر اختراعا بسيطا اذا ما قورن باختراع حروف الهجاء. ولا شك

في أن اختراع الكتابة التصويرية كالهيروغليفية والآشورية في العصور القديمة كان له أثر بالغ سرعان ما تقدم وتطور باختراع الكتابة بحروف هجائية مرنة، استطاعت أن تحول كل المفردات في أي لغة الى عدد يسير من الأشكال. وقد استطاع الانسان بحروف الهجاء أن يسجل الحوادث والمخترعات لمصلحة الآخرين، ولم تعد للكلمة المنطوقة ولا لوسائل الاعلام المباشرة أي ضرورة.

ومع ذلك فقد ضاع الكثير من الاكتشافات والمخترعات في القرون السابقة لاختراع الطباعة، وبعبارة أوضح يمكن القول بأنه حتى بعد شيوع استخدام حروف الهجاء، لم تكن هناك وسائل جيدة لاخراج نسخ مكررة من الكتب أو في كميات وفيرة تضمن بقاءها. فالناسخ في العصور الوسطى كان يقوم بدور عامل المطبعة في الوقت الحالي، وكان نسخ الكتب عملا بطيئا شاقا غالي الثمن. لذلك استطاع قلائل من المحظوظين فقط الحصول على نسخ من أعمال الكتاب القدماء، وأوقفت معرفة الأحداث الجديدة والاكتشافات على عدد محدود جدا من الناس.

ويشير الباحثون ومنهم العالم المشهور الدكتور «بول هرمان» في كتابه **الغزو البشري (١٩٥٤)** الى دلائل قوية على أن افريقيا مثلا كانت قد اكتشفت عدة مرات في الأزمنة القديمة قبل أن يكتشفها «دياز»، ومع ذلك فمعلوماتنا عن هذا الأمر ظلت مفقودة قروناً عديدة لكي تكتشف في النهاية. ويشير الدكتور هرمان كذلك الى أن امريكا أيضا قد اكتشفت قبل وصول «كولومبوس» اليها، ولكن معرفتنا بذلك ليست مؤكدة، وذلك لضياع السجلات الخاصة بتلك الاستكشافات القديمة. كما ضاعت على الانسانية معرفة الوسائل التي استخدمها المصريون القدماء في بناء أهراماتهم ومبانيهم التليدة.. والحق أن بامكاننا اليوم بناء أهرامات أكبر حجما بما لدينا من معدات وآلات، ولكن ما هي وسائلهم وما هي معداتهم؟!.

وبدأ عصر جديد بميلاد الطباعة بالحروف المتنقلة في عام ١٤٤٠م. ولما كنا لا نزال نعيش في هذا العصر، فمن الصعب علينا ادراك الظروف السالفة له، ومن العسير علينا ادراك أو تفهم المخترعات الهامة التي طواها الزمن، ولن نستطيع بحال من الأحوال قراءة وتذوق أعمال الشعراء والكتاب التي فقدت. ولكننا نعيش اليوم

في عالم مليء بوسائل الاعلام المختلفة مثل ملايين الكتب والجرائد والمجلات والمنشورات وبرامج الاذاعة والتلفزيون. وقبل أن تولد الطباعة كان المصدر الأساسي للمعلومات هو الحديث مع الجيران أو مع عابر الطريق.

لمحاتٌ مِن تـاريخ متَـاجر الكتبُ

منذ فجر التاريخ وظهور مواد الكتابة ظلت متاجر الكتب أكثر من مجرد مستودعات للكتب. وعلى امتداد العصور كان بائعو الكتب محبين لها، وكان البعض منهم أكثر حبا واهتماما بها من الآخرين. ورغم ذلك فقد كانوا جميعا يتطلعون الى الكتب قبل تطلعهم الى الكسب المادي أو الراحة الشخصية. وعبر القرون لم يكن المال ثمرة جهودهم بقدر ما كان الرضا والارتياح والسكينة التي اكتسبوها من وضع كتاب في يد قارىء يقدره.

وقد تطورت فنون ومواد الكتابة منذ اكتشاف البردى من خمسة آلاف عام أو يزيد، وظل البردى أكثر المواد اقتصادا في انتاج الكتب لآلاف السنين. وفي عصور اليونان والرومان كانت المواد متوفرة للكتب كما كانت الكتب متوفرة للبائعين. وتعرض متاحف العالم كتباً عديدة صنعت من البردى أو الجلود الرقيقة منذ زمن بعيد. وكانت الكتب في مهد الحضارات تصنع على يد بائعيها، وكان الكتاب العموميون، الذين كانوا عبيداً مثقفين، ينسخون ما بين عشرة وخمسة عشر كتاباً في الوقت الواحد، بينما يقوم أحدهم بمهمة الاملاء بصوت مسموع. وكانت جودة الانتاج تعتمد الى حد كبير على الاثنين معاً: الذي يملي والذي يكتب. أما الحذف والاضافة فقد كانا من الأمور العادية الشائعة، بل ان البعض كان ينسب الكتاب الى صديق مثقف أو متعلم وليس الى المؤلف الحقيقي.

وارتفع عدد متاجر الكتب في العصور اليونانية والرومانية وظل في الارتفاع حتى سقوط روما. وخلال العصور الوسطى في أوروبا دعا انحطاط المعرفة وانحسار الثقافة الى أن أصبح رجال الكنيسة الوحيدين الذين كانوا يفهمون في شئون القراءة والكتابة، ولذلك فقد كانت الكتب تنسخ وتنتج على أيديهم.

وبظهور الاسلام وازدهار الحضارة الاسلامية وانتشار مجالس الاملاء كثر انتاج الكتب. فقد شهدت بغداد في القرن الثالث للهجرة سوقا كبيرة للوراقين كان بها أكثر من مائة حانوت للوراقة. ولم يبلغ الشغف باقتناء الكتب في بلد آخر من بلاد

العالم ما بلغه في بلاد الاسلام في القرون الأولى له (من القرن ٨ الى القرن ١١ ميلادي) . وهناك أكثر من دليل على أنه كانت هناك على الدوام سوق نشطة لتجارة الكتب .

ويعد اختراع الطباعة بالحروف المتحركة نقطة تحول هامة في انشاء متاجر الكتب في العالم، فحيثما كانت مطبعة كان هناك أيضا متجر لبيع انتاجها . واستمرت المتاجر في النمو بالقرب من مراكز العلم والمناطق الآهلة بالسكان . ولم يحدث أي تغيير يذكر في توزيع وتجارة الكتب حتى النصف الأخير من القرن العشرين، فالمتاجر تدار الآن من قبل محبي الكتب أكثر مما تدار من قبل رجال الأعمال، كما يسعى التجار الى ارضاء زبائنهم من القراء أو حتى اولئك الذين يشترون الكتب للعرض أو للتفاخر .

وواحد من أشهر متاجر الكتب في عالم اليوم هو «بلاكويل» في بريطانيا، الذي أنشىء في عام ١٨٦٢ ويقوم الجيل الرابع من أسرة «بلاكويل» الآن بادارته . ويتنوع عملاء هذا المتجر الكبير حتى أن ٨٥٪ من مبيعاته تتم عن طريق البريد، يذهب معظمها الى مكتبات وقراء من دول أخرى . أما في الولايات المتحدة فهناك العديد من متاجر الكتب الكبيرة، منها «بيكويك» و«كورتش وبرنتانو» ومركز كتب جامعة (بتسبرج) على سبيل المثال .

واذا كان النصف الأول من القرن العشرين قد شاهد تطورا واضحا في وسائل الاتصال كالاذاعة والمطابع السريعة، فقد شاهد ايضاً نمواً ملحوظاً في القراءة وامكانات تسويق الكتب . ورغم ذلك فقد اضطرت متاجر عدة للإغلاق خلال فترة الكساد الاقتصادي الذي ساد العالم فيما بين السنوات ١٩٣٠ ـ ١٩٤٠ . أما متاجر الكتب التي ظلت تعمل فقد أجبرتها الظروف على بيع سلع أخرى مثل ادوات المكاتب من ورق وأقلام . . . الخ لتحقيق بعض الربح، كما اتجه الناشرون إلى نوادي الكتب الشعبية الرخيصة التي أمكنها تقليل تكاليف التسويق . وكان لانتشار الكتب المغلفة (أي غير المجلدة) في الخمسينيات أثر بالغ على النشر ومتاجر الكتب، فقد رفع الانتاج بالجملة مخزون السلع لدى المتاجر التي لم تكن مستعدة بالقدر الكافي للتعامل في هذا النوع من الكتب .

واتسمت فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية بتزايد في السكان واقبال على

التعليم، وأدت زيادة أعداد الطلاب في المدارس والجامعات والحاجة الى التسهيلات العلمية الى ظهور سوق رائجة للكتاب. وارتفع تبعاً لذلك عدد المتاجر التي لم تركز جهودها على بيع الكتب فحسب وانما على بيع سلع أخرى الى جانبها. وكانت أغلبية هذه المتاجر تلقى رواجاً عند بداية العام أو الفصل الدراسي ثم لا تلبث أن تنهار بعدها بقليل.

ولما زادت الحاجة الى أسواق جديدة لخدمة الألوف من الطلاب والأساتذة ظهر متجر الكتب الجامعي الى الوجود. وفي البداية كانت هذه المتاجر مملوكة لبعض المؤسسات، وكان بعضها يتلقى العون المالي من الجامعات والمعاهد العلمية حتى يتمكن من القيام بأعباء خدمة الطلاب. ولم تتطور متاجر الكتب الجامعية كثيراً، فمواقعها سيئة، والتسهيلات المتاحة لها غير وافية، والموظفون غير مدربين، وانحصرت مهمتها في بيع الكتب الدراسية والأدوات اللازمة للتعليم. وهكذا حوصرت هذه المتاجر بالمخزون السلعي الكبير والدخل المنخفض، فالناشرون لا يمنحون تخفيضاً كبيراً على الكتب الدراسية لسببين: المنافسة في الأسعار وتكاليف الاعلان، والناشرون يعلمون أن الأستاذ الجامعي هو الذي يختار الكتاب الدراسي وأن على متجر كتب الجامعة أن يحوزه، لذلك فهم يشعرون أن اتصالاتهم فيما يتعلق بالتوزيع يجب أن تكون بالاساتذة لا بمتاجر الكتب الجامعية. أما ناشرو الكتب التجارية الأخرى فليست لديهم منافسة مثل تلك القائمة في الكتب الدراسية، ولهذا يهتمون بالمتاجر فيما يختص بالخدمة والاعلان والترويج لسلعة الكتاب.

ويعتبر موظفو متاجر الكتب في أوروبا هم الأكثر تدريبا في العالم أجمع، فلديهم برامج للتدريب تقوم بها اتحادات بيع الكتب وبعض الناشرين، مما يساعد على تنشئة أجيال متفوقة من الموظفين. ولا شك أن ذلك الوضع أفضل بكثير مما هو عليه الحال في الولايات المتحدة وغيرها من الدول التي تعتبر كل من تخرج من الجامعة مؤهلا لأن يفهم في الكتب وأن يزاول عملية البيع.

ومن الأنواع المتخصصة في هذا المجال متاجر الكتب القديمة، ويخدم تجارها الباحثين عن الطبعات الأولى أو الكتب النادرة أو الفاخرة أو التي نفذت طبعاتها من

الناشرين الأصليين. وتتكلف الخبرة في معرفة وفهم طبيعة هذه التجارة سنوات من الدراسة والتجربة.

ويلعب موقع المتجر دوراً هاماً في استمرار نشاطه. والمتجر الذي لا يتبع هذه النظرية سوف يجد نفسه مفلسا ان عاجلاً أو آجلاً، حتى لو امتلك كل التسهيلات الممكنة مثل نوافذ العرض الجذابة ووسائل الاعلان الفعالة والموظفين المدربين والمعرفة التامة بالكتب. وتختلف مجموعات الكتب تبعا للمواقع، فالتي تقع في قلب المدينة تختلف عن تلك الواقعة في مراكز التسوق أو تلك التي تتبع مراكز أكاديمية. والى جانب الموقع يلعب كل من الاقتصاد والسياسة والنمو الثقافي للمجتمع دوره في نجاح المتجر اقتصاديا. وقد يكون الهدف الأول لمتجر الكتب هو الربح، لكن يجب أن يكون من بين أهدافه الأخرى الاسهام في التنمية الثقافية والتعليمية لكل من يرغب في القراءة ويتعطش للمعرفة.

بعض مشكلات النشر العالمي

في دنيا المعرفة والثقافة يحتل الناشر موقعاً فريداً، فهو يعتبر همزة الوصل بين الكتاب والقارىء. ويخطىء من يتصور أن الدور الذي يقوم به الناشر بسيط أو ثانوي. ويخطىء أكثر من ينظر إلى العاملين في مهنة النشر نظرته إلى الوسطاء أو السعاة. فالساعي أو الوسيط تنحصر مهمته في «توصيل» رسالة أو سلعة من طرف إلى آخر، ولا يشترط فيه بالضرورة أن يكون ملمًا بفحواها أو مضمونها. أما الناشر فإن مهنته تحتاج إلى إلمام كامل بمضمون هذه الرسالة التي يقوم بتوصيلها، فهو يشترك فيها بماله وجهده وفنه كما يضع إسمه عليها ويعتبر نفسه في النهاية مسؤ ولاً عنها. وكما هو الحال في أي مهنة في الوجود فإن لمهنة النشر متاعبها ومشاكلها، فما هي هذه المتاعب وما هي تلك المشكلات؟

لعل السؤ ال التقليدي الذي يشغل ذهن أي ناشر في العصر الحديث يتركز حول الكتاب ومستقبله. هل أصبح الكتاب ضعيفاً أمام منافسيه من الوسائل العديدة للترفية والتعليم؟ وإذا كان الكتاب قد استطاع أن يقاوم التيارات المختلفة وأن يصمد حتى الآن، فهل يأتي الوقت الذي يتلاشى فيه هذا الصمود وتخمد تلك المقاومة، أم أن مستقبلاً مشرقاً مزدهراً ينتظره؟

هناك سببان يحملان الناشر على التفاؤ ل بمستقبل الكتاب، أولهما اهتمام الناس رجالاً ونساء على الأمد البعيد في البحث عن الأجود، فهم يرغبون في تحسين مستواهم التعليمي كما يسعون إلى توسيع أفقهم. وفي كل بقعة من بقاع العالم، في الدول النامية والمتقدمة على حد سواء، يتفجر التعليم وينتشر. والتعليم يعتمد على الكتاب، وأغلب الظن أنه سيظل كذلك مستقبلاً. وهل توجد مناجم للمعلومات تقاس بتلك التي تخرج من بطون الكتب؟!

أما السبب الآخر للتفاؤ ل فيأتي من دارسة وتحليل سوق النشر. ففي معظم الدول المتقدمة يهبط مستوى الأمية إلى ١٠ ٪ وما دون ذلك، وتتضافر الجهود في الدول النامية للوصول إلى أعلى معدل لمحو الأمية، وسوف تبلغ غايتها في زمن قياسي

دون ريب. معنى ذلك أن معظم الناس لديهم القدرة على القراءة. ومن الخطأ أن نفترض أن كل من يستطيع القراءة يستخدمها بدرجة تذكر، فالقراءة عادة تتطلب الانتظام، كما أن قراءة الكتب ليست بالأمر اليسير نسبياً. وقراءة كتاب يقع في مائتي صفحة تتطلب انتظاماً كالذي يوفره التعليم الجيد. أذن هناك بين المتعلمين فئة كبيرة لا تقرأ، وهي نفس الفئة التي تشكل تحدياً وسوقاً مفتوحة متوقعة بالنسبة للناشرين.

والغريب أن عدداً كبيراً من المتعلمين تعليمًا عالياً يقرأ قليلاً وقد يكون من أسباب هذه الظاهرة أنهم اعتادوا في قراءاتهم اليومية على قراءة الصحف والمجلات، وفي عملهم على قراءة المذكرات والملخصات، مما يساعد على تقليص قراءتهم للكتب التي تطول أحياناً إلى مئات الصفحات. ومهما يكن السبب فإنهم يمثلون كسباً حقيقياً يتوجب على الناشرين أن يسعوا وراءه.

وتتنافس وسائل الترفية وقتل الوقت مع الكتب. مثال ذلك السيارة التي ينشغل صاحبها تماماً عن القراءة أثناء القيادة. وهناك أيضاً التلفزيون الذي يجلس إليه المشاهدون ساعات طويلة دون ملل. لكن ما الذي يحدث إذا أرادوا بحث موضوع هام بدرجة من العمق؟ أنهم يلجأون قطعاً إلى الكتب. والناشرون لا يخشون من وسائل الاتصال الحديثة على الكتاب، وبصفة خاصة في مجال التعليم، فالكتاب في نظرهم أداة أو «آلة» للتعليم فعالة واقتصادية في آن واحد، فهي سهلة الحمل والنقل من مكان إلى آخر، ولا تحتاج إلى طاقة كهربائية أو «بطاريات» للتشغيل، كما أنها غير معرضة للخلل الفجائي.

على أن الذي يقلق الناشرين ويقض مضاجعهم أحياناً هي أسعار الكتب. فالكتاب من ناحية يعتبر سلعة رخيصة الثمن إذا وضعنا في الاعتبار جهود التأليف، والتحرير، والتصميم، والاخراج، وتصحيح مسودات الطبع، والطباعة والتجليد، والاعلان، والتسويق. لكن القراء وأمناء المكتبات عادةً يرون عكس ذلك، علمًا بأن المرء قد يشتري محصول سنوات عديدة من البحث والخبرة والجهد بأقل من سعر مقعدين في أحد مسارح (لندن) أو (نيويورك). وقد تمكنت دور النشر من الهبوط بأسعار نوعين من الكتب من خلال أساليب حديثة في التخطيط والتسويق. وهذان

النوعان هما الكتب المغلفة بالورق أي غير المجلدة، وكتب الفن التي تزدان بالكثيرمن الصور والألوان. وقد تحقق ذلك بفضل النشر العالمي المشترك وطبع كميات هائلة من النسخ. أما الذي لم يحققه النشر حتى الآن فهو تطوير عمليات الطباعة والإخراج بالقدر الذي يؤدي إلى خفض أسعار الكتب، خصوصاً تلك التي تطبع منها كميات محدودة.

وتأتي مسألة التوزيع في المرتبة التالية لارتفاع الأسعار في قائمة مشاكل الناشرين. ويقصد بالتوزيع انتقال الكتاب من مستودع الناشر إلى أيدي القراء. ويسبب التوزيع مشكلة عالمية دون شك. فالنقل بغير طريق الجو بدأ يختفي، كما أن النقل البحري أو البري يتطلب وقتاً أطول. يزيد على ذلك أن العملاء من المكتبات والقراء يتوقعون أن تصلهم الكتب المطلوبة في غضون أيام قلائل. لقد ولى ومضى الزمن الذي كان يتم فيه توريد الكتب خلال يومين أو ثلاثة، وأصبح لزاماً على المشتري أن يصبر وأن ينتظر، وقد تطول فترة الانتظار إلى عدة أسابيع.

وثم مشكلة أخرى يعاني منها القائمون بالتوزيع. فمحلات بيع الكتب تضطر إلى تحديد ما تعرضه منها نظراً لضيق المكان، ولأن فرص الحصول على موقع مركزي فسيح قليلة ولا تحقق العائد المناسب لارتفاع الإيجارات وتصاعد أجور العاملين. لذلك تتجه أغلبية متاجر الكتب إلى اتباع طريقة أخدم نفسك بنفسك، فهي لا تحتاج بذلك إلا لموظف واحد أو إثنين. يضاف إلى ذلك أن أجور هؤلاء الموظفين ليست في العادة مشجعة حتى يقبل عليها أصحاب المؤهلات العالية أو الخبرات الطويلة، الأمر الذي ينعكس أثره على التوزيع.

ويرى بعض الناشرين من الانجليز أن سهولة الحصول على الكتب واستعارتها من المكتبات تؤثر على كمية المبيعات، فبريطانيا تأتي في مقدمة الدول من حيث معدل ما يستعيره القارىء الواحد من المكتبات. وقد يكون هؤلاء الناشرون على حق في هذا الرأي، ومع ذلك فهناك كتب لا تنشر إلا بمساندة من المكتبات. والأمر يحتاج إلى تعاون أكبر بين المكتبات وبين الناشرين، فالناشر اليوم يقوم ببعض الأعمال التي كانت تقوم بها المكتبات في الماضي، من ذلك الاعداد الفني للكتب كالفهرسة

والتصنيف والتجليد وطبع البطاقات . . . الخ .

ويشكل جميع الذين تتصل أعمالهم بالكتب فريقاً يحتل فيه المؤلف مركز الصدارة . ولحسن الحظ فإن الناشرين والمؤلفين في هذه الأيام يعملون معاً في تعاون وثيق أكثر من أي زمن مضى . وينطبق هذا التعاون على الجميع حتى على مؤلفي القصص ، فالمعروف أن مؤلف القصص يتأثر كثيراً برغبات الناشر . وتظهر آثار هذا التعاون واضحة جلية في نشر الكتب التعليمية ، حيث يكوّن المؤلف والمحرر والمصمم والمنتج فريق عمل . وفي عالم النشر يعتبر المحرر من أقرب المقربين للمؤلف . وقد ارتفع شأن المحرر في السنوات الأخيرة لدرجة أنه إذا ترك داراً للنشر فإن بعض المؤلفين يلاحقه . أن صناعة النشر قلباً وقالباً تعتمد على مثل هذه العلاقات الحميمة بين المؤلفين والفنانين والعمال من جهة وبينهم جميعاً وبين دار النشر التي تقدم انتاجهم إلى العالم بأسره من جهة أخرى .

وجدير بالذكر أن الاتحاد الدولي للنشر يسعى لانشاء صلات مع مختلف المؤسسات والجمعيات ذات الصلة بالكتاب في مختلف الدول ، وبخاصة النامية ، لمناقشة مشاكل النشر معه . ولا شك أن دور المكتبيين في هذا الشأن دور فعال لا يقل أهمية عن دور المؤلفين والمحررين والببليوجرافيين والنقاد . إن عالم الكتب بالضرورة عالم دولي ، فالكتاب ينتقل إلى كل مكان . ويربط الاهتمام المشترك كل العاملين في هذا الحقل برباط قوي بصرف النظر عن الجنس أو العقيدة أو المذهب الفكري . والعاملون في مجال الكتب يتصفون عموماً بالتحضر والسلوك الإنساني ، ويجنحون عادة إلى السلم وبناء العلاقات الدولية الطيبة .

مَكتَبَتك الخاصَّة

من الناس من يمتلكون في منازلهم غرفاً كاملة يخصصونها للكتب، ومنهم أيضاً من يحتفظ بالكتب في غرفة بسيطة أعدت لتتسع لمقتنياته المتواضعة. أما الذين لا تسمح ظروفهم بتخصيص غرفة للكتب فيحاولون إيجاد مكان لها في أي زاوية من المنزل. أن صفوف الكتب في أي غرفة واختلاف ألوانها وأحجامها تثير في النفس شعوراً بالارتياح، فالزائر لمثل هذه الغرفة يتطلع تلقائياً إلى العناوين المصطفة أمامه بروح تملؤها المغامرة. وبينما هو يتنقل من كتاب إلى آخر تسرح أفكاره في محتوياتها المرتقبة. . فقد يكون روايات أو قصصاً، وقد تكون لتاريخ حياة المشاهير من الرجال والنساء، كما أنها قد تتضمن شعراً أو لوناً آخر من ألوان الأدب، أو قد تكون كتباً جادة في الدين أو التاريخ أو الفلسفة أو الفن، أو تتناول إحدى الهوايات كالرياضة البدنية أو جمع الطوابع أو غيرها. . إن صفاً واحداً من الكتب يستطيع أن يجوب العالم بأسره وهو قادر على الخوض في أعماق التجارب الإنسانية.

ولحسن الحظ لا تزال أسعار الكتب في متناول الأغلبية من القراء المثقفين حتى بات في مقدور كل شخص أن يمتلك الكتب وأن يحتفظ بها في منزله. ولم تعد هناك حاجة إلى تخزينها أو الاغلاق عليها بالقفل والمفتاح أو اخفائها في مكان خاص خشية السرقة. . لم تعد هناك حاجة إلى كل ذلك، وأصبحنا نضع الكتب في أماكن تسهل علينا تناولها وقراءتها وإعادة قراءتها، فليس أعقل ولا أحكم من وضعها حيثما نريد.

ومهما بلغت إرادة الإنسان أو رغبته في بناء مكتبة خاصة فلن يستطيع أن يأمل في الحصول على كل الكتب التي يرغبها أو يحتاج إليها. ولعل العوائق الرئيسية الثلاثة في عصرنا هذا هي ضيق المساحة وقلة المال المخصص للشراء وصعوبة الحصول على بعض الكتب. فالمكتبات الخاصة التي كانت في حوزة الكثيرين من الأفراد في أوائل هذا القرن لم يعد لها مثيل في بيوتات أحفادهم، ونادراً ما يبني المنزل الحديث وبه مساحة كافية للرفوف أو الدواليب الداخلة في الجدران تسع مكتبة من أي حجم.

والكتب سلعة غالية الثمن، ولكن بمقارنة الزيادة في سعرها بتلك القائمة في

أسعار السلع الأخرى يتبين لنا أنها سلعة رخيصة نسبياً. وبالرغم من هذا الرخص النسبي في سعر الكتب نلاحظ أن ثمن الكتاب في المتوسط يماثل ثلث أو ربع الأجر اليومي لمتوسط الأفراد العاملين في المجتمعات الغنية، فما بالك إذن بالمجتمعات المتوسطة أو الفقيرة! لذلك ليس من الغريب أن تضمر مجموعات المكتبات الخاصة وتنكمش. يزيد على ذلك أن كتباً كثيرة قد نفدت طبعاتها ولم يعد من اليسير الحصول عليها اللهم إلا في أسواق الكتب المستعملة أو القديمة وهي أسواق غير مضمونة كما أن الكثير من هذه الكتب لن يعاد طبعه.

وليس معنى هذا أن نوفر على أنفسنا الجهد في بناء مكتباتنا الخاصة، بل على العكس، فالمشتغلون بالتربية والثقافة يؤمنون بأنه من الواجب تشجيع المواطنين وخصوصاً الصغار والأطفال على تكوين وتنمية مجموعاتهم الخاصة.

وهناك صنف من الكتب يمكن اعتباره رفيقاً ملازماً، وهو ما يمكن أن نقرأه في كل وقت وبكل ارتياح كالمصحف الشريف وبعض التفاسير، كما أن هناك كتباً أخرى نحتاج إليها على الدوام كمراجع نعود إليها كلما دعت الظروف لشرح مصطلح أو فهم حقيقة أو تتبع سيرة كالمعاجم اللغوية ودوائر المعارف ومعاجم التراجم. ولن يكتمل بيت لا يحوي كتب عمالقة الأدب العربي والعالمي.

وليس المقصود بهذا أن تتنافس المكتبة العامة مع بائع الكتب في سبيل الحصول على رواد أو زبائن، وإنما على النقيض نجد المكتبة العامة تؤدي رسالتها كاملة بتشجيعها للأفراد على شراء واقتناء الكتب، وهي من المؤكد تنشط حركة استخدامها. ويمكن أن تتضح الصورة أكثر لو فسرنا أغراض الطرفين المكتبة العامة وبائع الكتب، فكلاهما يسعى إلى نشر إستخدام أعداد أكبر من الكتب، وكلاهما يحرص على تشجيع القراءة، وكلاهما يهتم بتكوين جمهور مستنير يستطيع تذوق الكتب. ولسبب أو لآخر يحرص أمين المكتبة على أن يرى رواده يقرأون ويستشيرون أفضل الكتب المطروحة بالأسواق، ونفس الشيء يفعله بائع الكتب حتى يبيع رصيده وحتى لا تركد تجارته. ولعل دور أمين المكتبة في تنمية الاهتمام بالكتب أكبر من دور بائعها، فالأول عميل مباشر دائم ويعرض في مكتبته عدداً هائلاً منها وعلى

نطاق أوسع مما قد يأمل بائع الكتب في محاكاته. وتعاون أمين المكتبة مع بائع الكتب يفيد الطرفين فكل منهما يستطيع أن يقدم للآخر أكبر العون في تحقيق أهدافه العامة.

الكُتُب بَيْنَ الشِّرَاء وَالاستِعَارَة

من بائعي الكتب وأمناء المكتبات استمعت ـ على مدى سنوات ـ إلى ملاحظات مؤداها أن كلا من الطرفين يعتبر نفسه منافساً للطرف الآخر. وهذه في الواقع ظاهرة غريبة، فالمجال مفتوح لكل منهما لنشر المعرفة وتشجيع القراءة واكتساب عدد أكبر من الرواد دون أن يطأ أحدهما أقدام الآخر.

وكل بائع كتب يعلم علم اليقين أنه لن يتمكن من تحويل كافة القراء إلى زبائن يترددون على متجره لشراء الكتب، وبالمثل فإن أمين المكتبة يعلم تماماً أن للكتب الكثير من نواحي الاستعمال التي لا تستطيع أن تفي بها المكتبات العامة.

وينبغي على بائعي الكتب تقدير قيمة المكتبات العامة وأهميتها والعمل على ترويج استخدامها. أما أمناء المكتبات فقد لوحظ أن بعضهم لا يميل بطبعه إلى تشجيع الناس على شراء واقتناء الكتب، وحجته في ذلك أن رصيد المكتبة العامة كبير ومتنوع ويكفي عادة لتلبية مطالب القارىء العادي. ومن المؤكد أن كل طرف منهما يستطيع أن يتعاون مع الطرف الآخر، فالمشتري الدائم للكتب غالباً ما يكون من رواد المكتبة المنتظمين، والذي يقتني الكتب لا يشتري منها عادة سوى ما يحس أنه في حاجة إلى استعماله طويلاً، كما أن المتردد على المكتبات العامة على علم بمزايا اقتناء بعض الكتب والاحتفاظ بها.

ومن بين الأسباب التي تشجع على شراء واقتناء الكتب الأساليب العقيمة التي تتبعها بعض المكتبات في الإعارة والقيود التي تفرضها على المستعير، مثل إعارة كتاب واحد فقط أو كتابين على الأكثر طوال مدة الاعارة، أو تحديد هذه المدة بما لا يزيد على أسبوع، أو عدم تجديد مدة الاعارة بحجة أن هناك من يريدون قراءة الكتاب، أو الغرامات المالية الباهظة التي تفرضها بعض المكتبات على المتأخرين في رد الكتب المعارة، وقد يكون لدى البعض منهم أسباب قوية لا ارادية أدت إلى هذا التأخير. ومن بين الأسباب أيضاً سوء تنظيم المكتبة وإغفال وضع الكتب في مواضعها الصحيحة، مما يؤدي في النهاية إلى العبارة التقليدية على لسان الأمين: «آسف. .

الكتاب كذا غير موجود» وقد يكون الكتاب المطلوب موجوداً بالفعل وبأكثر من نسخة ولكن في غير مكانه الصحيح.

وهنا يتبادر إلى الأذهان هذا السؤال: هل يلجأ القارىء إذن إلى أسلوب الشراء كبديل للاستعارة؟ والإجابة بالنفي طبعاً، فالمكتبة العامة تمتلك من الكتب أكثر مما تزخر به متاجر الكتب مجتمعة، والمكتبة العامة بطبيعتها تتلقى كتباً ومطبوعات من بعض الهيئات العلمية والحكومية، محلية كانت أو أجنبية، لا تباع أصلاً وإنما ترسل إليها على سبيل الهدية أو الايداع. وأمين المكتبة الذكي هو الذي لا يصد قراءه ورواده، وإنما يحاول تدبير ما يحتاجون إليه من مطبوعات بطريق الاستعارة من مكتبات أخرى وفي وقت قصير، وهذا نظام معروف ومتبع في كل مكتبات العالم المتحضر ويطلق عليه نظام «الإعارة بين المكتبات».. ومع كل ذلك فإن بعض المطبوعات مثل المعاجم اللغوية ودوائر المعارف والكتب المدرسية أو الجامعية المقررة وبعض كتب المراجع التي تتطلب الرجوع إليها مرات ومرات يمكن أن يقتنيها ذوو الدخل المناسب.

ولعل من أهم مزايا شراء واقتناء الكتب حرية وضع العلامات أو كتابة الملاحظات في هوامشها، وهي بالتأكيد وسيلة رائعة للرجوع إلى بعض عبارات أو فقرات من الكتاب عند اللزوم، بينما تعتبر من أقبح وسائل التخريب والتشويه من وجهة نظر المستعير. ومما يذكر أن نسبة لا بأس بها من الكتب التي نقوم باستعارتها من المكتبات بها علامات من نوع أو آخر. وإن نسيت فلن أنسى ذلك الكتاب الذي استعرته من إحدى المكتبات، وهو مرجع هام في التاريخ، وقد امتلأت هوامشه بعبارة لم تتغير، إذ كتب أحد المستعيرين من قبلي أمام كل فقرة لم تعجبه: «هذه أكذوبة! هذا افتراء!».

ويستخدم عدد كبير من القراء أثناء قراءته القلم الرصاص أو القلم الأحمر، ولكن القليلون منهم - لحسن الحظ - يستخدون قلم الحبر في وضع علامات أمام بعض الفقرات أو العبارات كتحديد لها ينفع عند الرجوع إليها. وقد أصبحت هذه عادة متأصلة عند البعض من الصعب التخلص منها. وأعرف قراء كثيرين يستهويهم

وضع هذه العلامات أثناء القراءة لنقل فقرات كاملة من الكتاب بعد الفراغ من قراءته، وبعدئذ يقومون بازالة العلامات بممحاة أو بمكشط مما قد يزيد في تشويه الكتاب. ولو أن هؤلاء القراء أدركوا أن من الأيسر لهم شراء مثل هذا النوع من الكتب لوفروا على المكتبات مبالغ طائلة تنفقها في استبدال الكتب المشوهة.

ويمكن التعميم في القول بأن الكتاب الذي يستحق القراءة أكثر من مرة واحدة ينبغي أن يشتريه القارىء. ويسرى هذا القول على الأعمال الخالدة لكتاب كثيرين في مختلف نواحي الفكر، كما يشمل الكثير من كتب الشعر والمسرح وبعض أعمال التراث. يمكن القول كذلك بأن الحاجة لشراء المواد القصصية والخفيفة عموماً يجب أن تكون محدودة وفي أضيق نطاق، وخاصة بالنسبة للذين يعيشون على مقربة من إحدى المكتبات العامة.

وفي السنين الأخيرة زاد انتشار الكتب المغلفة بالورق التي شجعت ملايين القراء في دول الغرب والشرق على الأقبال على شرائها نظراً لرخص أثمانها، وأصبح يقتنيها أصحاب الدخل المتوسط وما دون المتوسط. وبينما لا يصلح الكتاب المغلف بالورق عادة للاعارة في المكتبات، إلا أنه يكفي حاجة المكتبة الخصوصية.

البـبليومانيا أو الجنون بحب الكتب

الجنون بحب الكتب ـ أو «الببليومانيا» كما يحرص المتخصصون على تسميته ـ مرض، وليس بالتأكيد وباء. والغريب أنه مرض يبتهج له المصابون، ولكن ما من شك في أنه عيب وانحراف. وهو يصيب المثقفين وحدهم، بدءاً من الشاعر اليوناني القديم «يوريبيديز» من القرن الخامس قبل الميلاد وانتهاء بالشاعر العالمي الروسي الأصل «باسترناك» في العصر الحديث. وغالباً ما تمضي أعراض هذا المرض دون ملاحظة. وأكثر الأعراض انتشاراً بين المصابين هو الترحيب الجم بالكتاب لا لشيء سوى لأنه كتاب، ويظهر ذلك في المرحلة الأولى من المرض. أما المرحلة الثانية فتتميز برغبة المصاب في تجميع أعداد هائلة من الكتب ـ أكثرها قليل الاستخدام ـ مفترضاً أنه قد يحتاج إليها يوماً ما. ويتبع ذلك حب وإعجاب وولع شديد بكل ما هو مطبوع. وينتهي الأمر عادة بميل المصاب إلى الابقاء على الكتب «التافهة» أو ذات القيمة الضعيفة.

ومن الإنصاف أن نذكر أن بعض المولعين بالكتب عبر التاريخ كانت لهم أهداف نبيلة من وراء تجميعهم لها. من هؤلاء «أيان فليمنج» الروائي العالمي الشهير مؤلف روايات «جيمس بوند» المعروفة للكثيرين، وغيره بالطبع عديدون. لكن التاريخ يذكر لنا كذلك أن البعض منهم دفعه الوله الشديد بها دفعاً إلى ارتكاب الحماقات بل الجريمة أحياناً.

ويهتم المولعون بالكتب إهتماماً بالغاً بحجم الكتاب، فالكتاب كبير الحجم لا يلقى استحساناً من البعض، عملاً ـ ربما ـ بنصيحة الأديب اليوناني القديم «كاليماخوس» التي قدمها منذ أكثر من ألفي عام: «الكتاب الكبير شر كبير!». وقد يكون السبب أن الكتب من الحجم الكبير تعوق البحث أكثر مما تساعد عليه، فالكتب القصيرة التي ظهرت أصلاً لراحة القراء تستهويهم. ويرجع تاريخ ظهور الكتب القصيرة (٥ × ٣ سم أو أكبر قليلاً) إلى القرن الميلادي الخامس عشر. وهكذا جذبهم هذا القصر في حجم الكتب جذباً إليها وراحوا يجمعونها لهذا الغرض وحده.

على أن منهم من تروق له الكتب من القطع الكبيرة، لدرجة أن أحدهم ظل يجمع طيلة حياته كتباً للأناشيد بلغ طول الواحد منها ثلاثة أقدام وعرضه قدمين.

ويأتي عدد ما يقتنيه أصحاب هذا الداء من كتب في المرتبة الثانية من الأهمية. وأغلب الظن أنهم يكثرون من جمع الكتب بهدف التباهي أو المنافسة، حتى أن أحدهم كان يقيس مجموعته بعدد ما يملك من غرف مليئة. والذي يؤسف له حقاً أن قلة من المشتغلين بالمكتبات قد أصابهم هذا الداء الوبيل، فإذا طلب من أحدهم استبعاد بعض الكتب أو تطهير المكتبة مما لا تحتاج إليه ولو مرة واحدة كل سنتين أو ثلاث سنوات ـ كما متبع في معظم المكتبات ـ جاء الرد: «ولماذا أفعل ذلك؟ إن عندنا كتباً كثيرة حقاً لا تستخدم على الاطلاق، ولكن سيأتي الوقت الذي قد تستخدم فيه. وعلى أي حال لا تنسى أنها كتب!».

ويحرص الببليومانيون ـ إذا جازت التسمية ـ فيما يحرصون على التجليدات الفاخرة أو الفنية أو التاريخية. وقد يستخدمون في تجليد الكتب جلوداً غير مألوفة لهذا الفن، مثل جلد الفيل أو الحوت أو الثعبان. وبلغ الهوس بالبعض حداً كريهاً بشعاً عندما فكروا في استخدام جلود الموتى من الآدميين كأغلفة للكتب. ولن ينسى التاريخ ما أقدم عليه بعض الشخصيات العامة من أمثال الجنرال «بنيامين ف. بتلر» أحد حكام مدينة (نيو أورلينز) بالولايات المتحدة السابقين، والذي اتهم ببيع جثث موتى نزلاء أحد السجون لصناع الأحذية لهذا الغرض، ولكن التهمة لم تثبت ضده. كما وجدت بإحدى المكتبات في مدينة (فيلادلفيا) أربعة كتب في الطب كانت في الأصل مملوكة لأحد الجراحين العسكريين القدامى وقد جلدت بجلود الجنود الذين وقعوا في إحدى المعارك، وقد تمكن الفحص الميكروسكوبي من العثور على بقايا شعر آدمي في التجليدات الأربع. والأمثلة على استخدام الجلود الآدمية بعد معالجتها كيمائياً كثيرة، وأغلبها مأخوذ من مجرمين نفذ فيهم حكم الإعدام.

ومن غرائب طباع المصابين بهذا المرض الرغبة الجامحة في تشويه أو تدمير ما يحبون. ولعل هذا هو السبب وراء اختفاء بعض النصوص الأدبية الانجليزية القديمة، وقد قيل أنها قدمت طعاماً لبعض الحيوانات والديدان التي تعيش على التهام

الورق.

ومن الطبيعي أن تستخدم الكتب للقراءة، لكن يبدو أن عدداً قليلاً من الببليومانيين يدرك هذه الوظيفة بوضوح، فقد استخدمها البعض كقطع للأثاث المنزلي، أو كأدوات تنفع في صنع أي شيء، أو حتى للمضغ والأكل والالتهام. وإذا كنا نقول أن فلاناً التهم الكتاب، فإنما نفعل ذلك من باب التشبيه اللفظي فحسب، لكن الأمر يختلف أحياناً مع هؤلاء المرضى. فقد قيل أن أحدهم دعا أصدقاءه إلى عشاء قدم فيه أطباق حساء ممزوج بأوراق مغلية من ديوان أحد الشعراء. والأغرب من ذلك ما ذكر من أن بعضهم يستطيع التعرف على الكتب ومراحل ملكيتها بسهولة من خلال حاسة الشم، بل والسمع في بعض الأحيان. وقد يبدو ذلك لنا مستحيلاً للوهلة الأولى، لكن الببليومانيين المحنكين يؤكدون على استطاعتهم تمييز الكتب بالاستماع إلى حفيف أوراقها، أو بلمس حوافها المذهبة أو أغلفتها المحفورة بدقة أو كعوبها المصقولة، أو بالقاء نظرة على زخرف بطانة التجليد أو ملامح تصميمها الطباعي.

ويشغل الحصول على الكتب جانباً هاماً من وقت الببليوماني الذي يستحق هذا اللقب عن جدارة، فهو يشعر بسعادة لا مثيل لها عندما يضع يده على كتاب نادر أو نسخة فريدة، وتلمع عيناه في أشد الأماكن ظلمة، سواء كان ذلك في «بدروم» منزله أو داخل غرفة خلفية في أحد متاجر الكتب القديمة. وأحط الببليومانيين شأناً هم صيادو الكتب الذين يشترونها بهدف الاستثمار وبأمل الحصول على ربح من إعادة بيعها. وقد يقع البعض منهم في مصيدة حب الكتُب التي حصلوا عليها، فلا يفرطون فيها. ويستثنى منهم بطبيعة الحال أولئك الذين يتصيدون الكتب لبناء مجموعات علمية أو ثقافية تهدف إلى خدمة أجيال متعاقبة من جامعي الكتب أو الدارسين.

ولا ينبغي أن يوصم كل محب للكتب بأنه ببليوماني، فالكثيرون منهم يدفعهم الولاء للعلم والمعرفة إلى اقتناء وحب الكتب. ويتميز هؤلاء في العادة بدراية كافية بشتى فنون الكتاب مثل تاريخ الطباعة والورق والتجليد والزخرفة. وكم من جامع

أو محب للكتب اتهم بالمفهوم القبيح للكلمة، في حين أنه كان يجمع الكتب بغرض القراءة أو بناء على نصح أحد البائعين.

وتبلغ متعة الببليوماني ذروتها في امتلاك وقراءة كنوزه من الكتب، لكنه مع ذلك يفضل أن يعيش لفترات طويلة على ذكريات شرائها وعقد صفقاتها والطريقة التي استخدمها في الحصول عليها. أما الذي يحزنه حقاً ويكدر صفو حياته فهو إحساسه بأن موارده قد بدأت تنضب، أو أن مصير مجموعته معروف سلفاً له وللجميع، فكل المجموعات العظيمة التي قامت على أكتاف أمثاله استوعبتها المكتبات العامة أو الوطنية أو الجامعية في النهاية، سواء بطريق الشراء أو الاهداء.

أما طموح محبي الكتب من الببليومانيين أو الباحثين أو الجامعين لها فينصب على قراءتها، فالقراءة تشدهم جميعاً برباط وثيق. وقد يحرم الواحد منهم نفسه من أدنى الضروريات في سبيل شراء كتاب يسد به حاجته الفكرية. وفي كل الأحوال تمنح القراءة رضاء ومتعة وبهجة، ولكن الببليومانيين وحدهم يستشعرون لها مذاقاً خاصاً يدفعهم إلى التضحية بالراحة والوقت والاستقرار. والذين يعرفون الكتب معرفة جيدة لهم وسائلهم الخاصة في القراءة. وقد يحيط الببليوماني نفسه بمئات وألوف الكتب، لكنه يختار منها للقراءة ما يناسب مجال اختصاصه وذوقه القرائي فقط.

لقد درس المتخصصون من علماء النفس وغيرهم الأسباب المؤدية إلى الببليومانيا، فوجدوا الطمع والغرور والانغماس في حب الاستطلاع من بينها. ويلعب أي واحد من هذه الطباع أو كلها مجتمعة دوراً في تشخيص الداء. ولكن علينا ألا ننسى أنه مهما كانت الأسباب والدوافع، ومهما بلغ احتقار الناس لهم، تظل هناك حقيقة ثابتة هي أن أولئك المنحرفين قد أسهموا بقسط وافر في إزدهار المعرفة، فقد خرج من بين صفوفهم بعض علماء الكتب المعروفين، كما تعلمنا منهم العناية بالكتب وأساليب صيانتها. ولا ريب في أنهم أفادوا أجيالاً عديدة من المشتغلين بالمكتبات في ابتكار الوسائل المختلفة للحصول على الكتب. والأهم من ذلك كله أن أولئك الذين وهبوا أحاسيسهم وأفكارهم وأموالهم وجهودهم للكتاب قد أعطوا للقراءة قيمة ومعنى باعتبارها الوظيفة الأولى للإنسان المتحضر.

النّصف الآخر من المعرفة

من الأمثال والأقوال المأثورة القديمة التي لا يعلم الناس مصدرها بدقة، أو التي لا يعرفون كيف وصلت إليهم وصارت تجري على ألسنتهم، القول المعروف المألوف: «نصف المعرفة هو أن تعرف أين تجدها». ومعناه ـ في رأيي ـ أن المعرفة تنقسم إلى شقين: الشق الأول هو الذي يتعلق بالسؤال (ماذا؟) أما الشق الثاني فيختص بالضرورة بالسؤال (أين؟). ومن الغريب أن العلماء والباحثين والدراسين في العالم أجمع وفي كل الأزمنة يركزون جهودهم على الجانب الأول للمعرفة، ولا يهتمون بنفس القدر بالجانب الآخر (أين؟). وحتى تكتمل المعرفة لا بد من تسليط الضوء على نصفها الآخر، وأقصد بذلك طبعاً: أين نجدها؟

ومن المسلم به أن تراث الإنسانية هو المصدر لكل ما نعرف. ويتمثل هذا التراث في ملايين الكتب والدوريات والصحف والأفلام وشرائح الأفلام والأشرطة السمعية وغيرها من وسائل الاتصال العديدة. ولكن من بين كل ما ذكرت هناك عدد قليل نسبياً من المصادر يمكن اعتباره مفتاحاً للمعرفة الإنسانية برمتها. وهذه الفئة من المصادر هي المعروفة لنا جميعاً بكتب المراجع ـ أو تلك التي تكوّن في مجموعها النصف الآخر من المعرفة. . (أين؟).

وليس تعريف المرجع بالأمر العسير، فالمرجع هو أي كتاب يستخدم للحصول على معلومة أو معلومات محددة. وقد يعتقد البعض أن أي كتاب يمكن إعتباره مرجعاً طالما ينسحب عليه هذا التعريف. ومن ناحية هم على حق في ذلك، فعندما يرجع القارىء إلى كتاب حتى لو كان إحدى مسرحيات «شكسبير» مثلاً بغية التحقق من سطور معينة فيها، فإن هذه المسرحية تصبح مرجعاً ولكن بصفة مؤقتة. غير أن هناك بعض الكتب التي تستخدم بصفة دائمة لغرض الرجوع إليها واستشارتها فقط، ولا يمكن بحال من الأحوال أن تقرأ كاملة من الغلاف إلى الغلاف. والأمثلة على ذلك كثيرة. خذ مثلاً **لسان العرب** الذي يقع في عشرين مجلداً، أو **دائرة معارف القرن العشرين** لمحمد فريد وجدي، أو حتى **الموسوعة العربية الميسرة** التي تقع في مجلد

واحد فقط. . فمن ذا الذي يستطيع أن يقرأ أي واحد من هذه الكتب من الغلاف إلى الغلاف؟ وحتى إذا افترضنا أن ذلك ممكن ـ وهو أمر ضئيل جداً في الإحتمال ـ فما الفائدة التي يجنيها المرء من قراءة مثل هذه الكتب من أولها حتى آخرها؟ إذن فالذي يميز الكتاب المرجعي عن غيره من الكتب هي حقيقة أنه أعد بصفة أساسية للرجوع إليه واستشارته للحصول على معلومة أو معلومات محددة فحسب، وليس القراءة الكاملة من الألف إلى الياء.

وتهتم المكتبات بتمييز هذه الفئة من الكتب عن سواها وذلك بفصلها عن بقية الكتب، وترميزها بالرمز (م) أو بكلمة (مراجع) التي تسبق أرقام تصنيفها، كما تقوم بوضعها في رفوف أو دواليب خاصة. وكقاعدة عامة فإن هذه الكتب غير قابلة للإعارة الخارجية، وإنما تستخدم فقط داخل المكتبة، إلا أن عدداً محدوداً جداً من المكتبات وبصفة خاصة في دول الغرب قد بدأ مؤخراً في منح بعض التيسيرات في إعارتها للخارج، لكن لمدد قصيرة، لليلة واحدة أو لبضع ساعات وتحت ظروف خاصة متشددة. ويقدر عدد كتب المراجع في كافة اللغات بما لا يزيد على عشرة الآف كتاب في العالم بأسره. وهناك نحو ثلاثمائة مرجع يصدر سنوياً بعضها جديد تماماً والبعض الآخر مراجعات أو طبعات جديدة من كتب مراجع سبق إصدارها. وتمثل هذه الآلاف العشرة في مجموعها نصف المعرفة ـ أو النصف الآخر (أين؟)، بل أكاد أزعم أن جزءاً هاماً من النصف الأول (ماذا؟) لا يمكن التوصل إليه سوى عن طريقها.

ولكتب المراجع أنواع مختلفة تمتاز جميعاً بقدرة فائقة على إيجاد وتحديد مواقع المعلومات. فهناك المعاجم اللغوية مثل معاجم الألفاظ ومعاجم المعاني التي لا تهتم فقط بتفسير معاني الألفاظ وإنما تشمل أيضاً نصوصاً أدبية تدل على معانيها مع توضيح إستعمالات كل منها. أما المعاجم المتخصصة فهي التي تهتم بتعريف مصطلحات علم واحد أو مجموعة متجانسة من العلوم. وهناك أيضاً الموسوعات التي تعني بإختيار المعلومات والحقائق الهامة التي وردت في نحو خمسين مليوناً من الكتب هي كل ما استطاع العالم أن ينتجه حتى الآن. تأمل كيف تختار وتضغط هذه الحصيلة كلها فيما لا يزيد على عشرين مجلداً. إن الموسوعة العامة في يومنا هذا هي خلاصة

المعرفة التي توارثتها الأجيال. وعندما تبلغ الموسوعة درجة عالية من الكمال فإنها تبلور جهود الإنسان عبر القرون في إحداث التوازن بين (أين؟) و (ماذا؟). إنها ليست عملاً سهلاً كما قد يظن البعض.

وإذا انتقلنا إلى فئات أخرى من كتب المراجع وجدنا معاجم التراجم التي تتحدث عن الأعلام والمشاهير في كل مكان وفي كل زمان وفي كل مجال من مجالات المعرفة الإنسانية. والجدير بالذكر أن هذه الفئة بالذات من كتب المراجع تحظى بإقبال شديد من جانب القراء، ربما لأنها تتحدث أساساً عن الإنسان سيد هذا الكون. وسوف نجد أيضاً معاجم البلدان التي تزخر بالمعلومات الهامة عن البحار والأنهار والبحيرات والجبال والوديان والخلجان والأقاليم والمدن وغيرها. ويحتل الأطلس موقعاً هاماً من كتب المراجع لما يقدمه من معلومات وخرائط تفيد الدارسين والسائحين والمهتمين بشئون السكان والاقتصاد والأرصار والتعدين والكثير من الميادين. وما يقال عن الأطلس يقال أيضاً عن كتب الاحصاءات والتركيبات العلمية وسجلات الوثائق والمخطوطات والببليوجرافيات والفهارس والكشافات وغيرها الكثير. . الكثير.

والذي يدعو إلى التفاؤ ل في الاهتمام بالجانب الآخر (أين؟) هو الإقبال المتزايد على استخدام هذه المراجع من قبل الباحثين والدراسين والطلاب، والذي يواكبه طلب متزايد على أمناء المكتبات الذي يستطيعون إرشاد من يريد إلى استخدام هذه الفئة من الكتب والحصول منها على أكبر قدر من الفائدة. فالعالم كله يشهد اليوم إهتماماً بالغاً بالمكتبيين والببليوجرافيين والموثقين والقائمين بأعمال الاستخلاص والتكشيف في المجالات المختلفة في الصناعة ومراكز البحوث والهيئات الحكومية، وأصبح النصف الآخر من المعرفة (أين؟) يجد مساندة وتدعيماً من جهات الاختصاص على مستوى الكون كله.

أعـــداء الكُتُب

لا ريب في أن البشر هم أعدى أعداء الكتب. . وهي التي يسجلون فيها أفكارهم وأحاسيسهم . فإلى القائمة الطويلة من المكتبات العظيمة التي خربت عمداً على يد الجيوش الفاتحة أو أحرقت في حمى الغضب لا بد أن نضيف الخسائر والأضرار الجسيمة الناجمة عن السرقات الصغيرة والأذى المتعمد والإهمال واللامبالاة من جانب الأفراد. هذه الحقيقة توجع النفس وتؤلمها لأن الوقوف في وجه هذه الأضرار والخسائر يبدو شبه مستحيل، ويعوزه فرض تدابيرللوقاية قد تقصر تداول الكتب مستقبلاً على القلة المختارة. ولا يقل خطورة توالى الخسائر نتيجة نقص معلومات أمناء المكتبات أو إخفاقهم في الاستعانة بسبل الحفاظ على مجموعاتهم وصيانتها.

وقد توصل العلم خلال السبعين أو الثمانين سنة الماضية إلى القضاء على الحشرات التي تسبب الأذى للكتب. غير أن هناك أعداء آخرين تمكن العلم من التعرف عليهم، فمن هم هؤلاء الأعداء؟ إنهم على التوالي: الناس ـ الهواء الذي نستنشقه ـ الضوء ـ الحرارة ـ الرطوبة ـ الحشرات الطفيلية ـ الفطريات. وكل هؤلاء الأعداء معروفون الآن كما أن وسائل إيقاف وإبطال مفعول معظمهم قبل حدوث الضرر أصبحت في متناول اليد. وأساليب الوقاية ليست رخيصة لكنها معقولة إذا قيست بتكاليف الاصلاح والترميم في المستقبل.

وعندما أقول الناس فإني أعني بالتحديد أولئك القراء الطائشين غير المراعين لحقوق الآخرين ومشاعرهم. فالكتب التي يستعملها هؤلاء تجد أوراقها مطوية الزوايا، وصفحاتها مشوهة بعلامات مرتجلة أو ملطخة بالعرق أو بآثار التدخين أو حتى دهان مسح الأحذية ! وسوف تجد في المكتبة العادية ألوف المجلدات التي تحمل بصمات أصابع لا تمحى أو تزال بسهولة. وتقليل استهلاك الكتب من الأمور الصعبة على أي مكتبة، ومع ذلك فإن جزءاً كبيراً من الضرر يمكن تلافيه بإتباع بعض الارشادات. مثلاً بعض المواد اللاصقة كالشرائط الضاغطة تستعمل لاصلاح الكتب ولكنه اصلاح مؤقت ولا ينفع إلا مع الكتب رخيصة الثمن أو التي نتوقع لها

أن تستبعد بعد فترة استعمال قصيرة. ويحتوي بعض هذه الشرائط اللاصقة على مواد كيمائية سرعان ما تغير لون الورق أو تفسده ببقعة يستحيل إزالتها.

وتستعمل بعض المكتبات ورق الصحف أو ورق التغليف الرخيص لتغليف الكتب المودعة بالمخازن وحمايتها من الأتربة والغبار، لكنها تنسى أن ذلك يؤذي الكتب أكثر مما يؤذيها الغبار، فورق التغليف يحتوي على مواد من شأنها «أكسدة» واتلاف الكتب. أما ورق الصحف فيمتص رطوبة الجو ويحتفظ بها مما يؤدي إلى خلق مناخ يساعد على نمو العفن. وصناديق الكتب التي تملأ إلى آخرها تعتبر هي الأخرى المأوى المفضل للعديد من الحشرات والقوارض.

وتغطية أغلفة الكتب والأوراق بطبقة شفافة من البلاستيك يفيد في حمايتها إذا تم ذلك على أيدي الأخصائيين. وقد أمكن إنقاذ كميات هائلة من الصحف اليومية القديمة من الهلاك بهذه الطريقة. أما إذا تم ذلك على أيدي الهواة، كما يحدث في ورش ومعامل بعض المكتبات، فإن النتائج لن تكون مشجعة على الاطلاق.

وهنالك أيضاً دواليب الكتب الزجاجية التي لا تزال فائدتها موضع شك، فالمعروف أنها توفر أمناً وحماية للكتب من السرقة ومن الغبار والهباء الجوي، لكنها رغم ذلك توفر عشاً هادئاً للحشرات والقوارض وهواء راكداً يساعد على نمو العفن، خصوصاً خلال شهور الصيف في المباني غير المكيفة. ومما يذكر أن الحرارة المرتفعة التي تسود هذه الدواليب الزجاجية تعجل بفساد وتلف الجلد والورق.

والهواء الذي نستنشقه هو خليط من الأكسجين والنتروجين مع آثار ضئيلة من ثاني أكسيد الكربون. ويعد الهواء مسؤولاً عن بعض التلف الذي يحدث للمواد العضوية، فهو يوفر الأكسجين وبخار الماء اللازمين للاحتراق والتخمر والتحلل ومن ثم الأكسدة الذاتية. وحيث أنه لا يسعنا منع وصول الهواء إلى المواد المكتبية، إلا إذا وضعناها في صناديق مملوءة بالغازات الخاملة ـ وهو أمر مستحيل بالطبع ـ فليس من المعقول أن نعتبر الهواء النقي من أعداء الكتب. لكن العدو الحقيقي هو الهواء الملوث وخاصة هواء المدن. فلهواء المدن نصيب كبير في تحلل مواد اللصق والغراء والمخطوطات المصنوعة من لحاء الشجر أو سعف النخل والنسيج والجلد وبخاصة

الرق والورق. والهواء الملوث يصدىء المعادن ويفقد المادة البرونزية التي توضع على أغلفة الكتب بريقها ولمعانها ويتلف بعض أنواع الطلاء ويسحج أي سطح يلامسه. ولا يوجد مكتبة واحدة بعيدة عن الهواء الملوث حتى لو كانت في أعماق الريف أو بالقرب من شاطىء البحر.

كذلك الضوء سواء أكان طبيعياً أم صناعياً له تأثيره على المواد المكتبية، فالضوء يحول لون حبر الكتابة وأغلفة الكتب وألوان الصور والخرائط. والتعرض الطويل للأشعة فوق البنفسجية يجعل الورق يتقصف ويفقد قوته. وتوجد هذه الأشعة في ضوء النهار كما توجد في الأضواء الصناعية، وإن كان من الممكن تخفيفها إلى حد كبير في ضوء «الفلورسنت». أما النوافذ الزجاجية العادية فلا تمنع الأشعة فوق البنفسجية القادمة من ضوء الشمس. ومن جهة أخرى فإن الضوء يعوق نمو الفطريات ويطرد الحشرات الطفيلية من مخابئها، لذلك يفضل إغراق كل ركن وزاوية في المكتبة بالضوء المستديم، فنادراً ما نرى الصراصير وغيرها من الحشرات المنزلية في غرفة مظلمة إلا عندما نضيئها فجأة. والفئران والجرذان تنسحب هي الأخرى من الضوء، مع يقيني من أن مكتبة واحدة لم تسلم منها. ويقال أن عدد الفئران في أي مدينة يفوق عدد سكانها بكثير. وتسرح هذه الحشرات والقوارض الضارة وتصول وتجول تحت ستار الظلمة.

أما الحرارة وهي الضرورية لراحة الإنسان فتزيد من مشاكل العاملين بالمكتبات، فهي تساعد على نمور العفن كما أن الحشرات والقوارض تنمو بسرعة في المباني الدافئة. وتحدث الحرارة تلفاً تدريجياً للورق والجلد والنسيج. وفي المكتبات الدافئة أكثر مما ينبغي يجف الغراء ومواد لصق أغلفة الكتب وتتوقف عن التماسك. أما الحرارة الناشئة عن حوادث الحريق فتضر الكتب والورق حتى لو لم تكن قريبة من مصادر اللهب، فهي تتسبب في فقدان الورق لقدرته على الثني والطي. وتتعرض الكتب والمخطوطات في صناديق العرض للتلف نتيجة ارتفاع الحرارة الناجمة عن مصابيح الكهرباء، فالحرارة تجعل أوراق البردى والمخطوطات المصنوعة من لحاء الشجر أو سعف النخيل هشة سهلة المكسر والتمزيق. حتى الأفلام السينمائية

والمصغرات الفيلمية والأشرطة والاستطوانات السمعية تتأثر بتغيير درجات الحرارة. وإذا أريد للمواد المكتبية أن تعمر طويلاً فلا مفر من تبريدها وتلطيف حرارتها.

وتلعب الرطوبة دوراً هاماً في تلف الكتب، وإن كان وجودها بنسبة معينة ضرورياً لمرونة الورق وقابليته للانثناء. والرطوبة الزائدة في الورق تشجع على نمو العفن، أما القليلة جداً فتقصفه كما تتسبب في جفاف الجلد. والتعرض الطويل للرطوبة المنخفضة يحول الجلد في النهاية إلى مادة شبه متفحمة. أما الرطوبة في شكل قطرات من الماء تنساب من السقوف الراشحة أو من خلل في السباكة أو ما شابه ذلك فإنها تتسرب إلى رفوف الكتب وتؤدي إلى تفضن الجلد وتبقع الورق وطمس حبر الكتابة وتدمير قماش الأغلفة وتعفن الخشب وصدأ المعادن. وعند وقوع حريق في المبنى فإن مياه الإطفاء تفوق اللهب في الضرر، فالورق القديم المبلل بالمياه المتناثرة يتلوث ويبدو كريه المنظر وإذا لم يجفف بسرعة يصبح ليناً اسفنجياً.

أما الحشرات الطفيلية فهي هدامة وتبعث على الاشمئزاز كما يتعذر مكافحتها والسيطرة عليها. وهي من فئتين: فئة تعيش على المواد المكتبية وتدمرها، والأخرى زائرة مؤقتة تجلبها وسائل مختلفة أو تعيش في الأعماق المظلمة من المباني التي تشن منها الغزوات على رفوف الكتب وصناديق الفهارس وغيرها. ومن الحشرات يوجد أكثر من سبعين نوعاً أمكن التعرف عليها كأعداء للكتب، أشهرها الصرصار وقارضة الورق والأرضة ودودة الكتاب وزنبور الطين والعثة وبقة الفراش. والغذاء المفضل لصراصير الغراء ومواد اللصق في أغلفة الكتب، وهي لذلك تأكل القماش وكعوب الكتب لكي تصل إليها. وهي تفرز سائلاً داكناً يغير لون أي مادة تزحف عليها. وقارضة الورق حشرة نحيفة غير مجنحة يصل طولها إلى نصف بوصة، تنشط في الليل ولا تأكل غير الورق، لكنها تستطيع العيش بدون غذاء لعدة شهور، وهي تفضل الأماكن المعتمة خلف الكتب على الرفوف لوضع بيضها. أما الأرضة فتنمو بقوة في المناخ الاستوائي وشبه الاستوائي، وهي تشبه النمل ويطلق عليها أحياناً «النمل الأبيض» ومع ذلك فلا هي بيضاء ولا هي من فصائل النمل، ومن العسير كشفها وضبطها لأنها تشن حملاتها الهجومية من خلف الدواليب وتشق طريقها خلال

الرفوف الخشبية لكي تلتهم الكتب من الداخل ولا تتركها إلا بعد تمزيق محتوياتها تماماً.

وتشتهر دودة الكتاب بلونها الرمادي وصغر حجمها الذي لا يتعدى رأس الدبوس. وهي تتواجد بالألوف بين صفحات الكتب البالية، وتأثيرها ضعيف لأنها تعيش على الفطريات الدقيقة التي تجدها في الورق، ومع ذلك فهي تعتبر بمثابة إنذار بأن الظروف أصبحت مهيأة للعديد من الحشرات الأشد خطورة. وبعض الأنواع من ديدان الكتب أكثر شراسة وتلتهم صفحات الكتب إلى أن تصبح غير قابلة للقراءة.

أما الفطريات فهي أكثر الأحياء تكاثراً، وأغلبها دقيق جداً لا يرى بالعين المجردة. وتتميز الفطريات بأنها تنمو في الظلام أسرع مما تنمو في وضح النهار. وهي تسبب العفن ولذلك تفضل الأماكن الرطبة. وهي أيضاً غير مؤذية إلا عندما تكون درجة الرطوبة مرتفعة والجو حاراً، الأمر الذي يحدث في معظم المكتبات. وهي تعفن الجلد وتنحت الورق حتى يصبح ليناً متشرباً كورق النشاف. ويختلف الورق من حيث درجة مقاومته للفطريات تبعاً للمعالجة الكيميائية عند صناعته. والبقع البنية أو صفراء اللون التي نراها على أوراق الكتب القديمة ما هي إلا علامة على نشاط الفطريات.

ولحسن الحظ فإن معلوماتنا عن أعداء الكتب كثيرة ومتوفرة. لهذا يتعين على أمناء المكتبات في كل موقع وفي كل مكان أن يزيدوا من معرفتهم ومعلوماتهم عن هؤلاء الأعداء، وعن سبل حصارهم والقضاء عليهم قبل أن يشتد ضررهم وتستفحل أخطارهم، فالوقاية ـ كما نعلم ـ خير من ألف علاج.

حَول مُسْتَقبَل الكِتَاب

لعب الكتاب دوراً حاسماً في تقدم النشاط الإنساني وفي اثرائه وتحسينه، بإعتباره أول وسائل الاتصال وأكثرها وثوقاً. فمنذ فجر الحضارة الإنسانية كان للمخطوطات تأثير مباشر على دائرة ضيقة من الناس، وتأثير غير مباشر على أعداد كبيرة منهم. وقد كان للكتاب المخطوط أو المطبوع دور تاريخي في حفظ ونشر المعرفة حتى أصبح أقوى أداة للتعبير عن الأفكار ونقلها للآخرين. وباتساع رقعة تأثيره عبر القرون استطاع الكتاب أن ينشر الأفكار الجديدة بطريقة أسرع ويحرر الإنسان من العبودية ويغير من هذا العالم ويتخطى حواجز اللغة ويقرب الأمم من بعضها البعض.

وكان لظهور الكتاب المطبوع نتائج نفسية واجتماعية عظيمة، فقد تغلب الإنسان على نقائصه كما تغيرت أنماط الحضارة. وبالرغم من أن الكتاب يعتبر من أهم وسائل الاتصال الجماهيري في الربع الأخير من القرن العشرين، نظراً للتقدم الهائل في فنون الطباعة، فإن ظهور الوسائل الأخرى مثل الإذاعة والفيلم والتلفزيون يدعو إلى نظرة تشاؤمية على مستقبل الكتاب، ويخشى البعض من إنحسار الكتاب أمام الوسائل التقنية الأخرى كالتلفزيون وغيره من الأجهزة الألكترونية الحديثة.

واليوم يعيش حوالي ٨٠٠ مليون من سكان العالم بلا مكتبات أو مدارس، ومع ذلك فإن انتاج الكتب في ازدياد مستمر، وتوزيع الصحف والمجلات في ارتفاع دائم، وعدد رواد المكتبات يتصاعد يوماً عن يوم. لذلك لن نتحدث عن موت الكتاب كوسيلة اتصال، وإنما عن مستقبله وعلاقته بوسائل الاتصال الأخرى.

ومستقبل الكتاب موضوع مثير وهام خصوصاً لدى أولئك الذين يتعاملون معه، أو بالأحرى الذين تتصل أعمالهم وابداعهم الفني والأدبي وحبهم وهواياتهم بالكتاب. إذن فهو موضوع يهم المؤلفين والناشرين وبائعي الكتب وأمناء المكتبات والنقاد والمصورين والرسامين... الخ، أو باختصار الذين ينشغلون بانتاج الكتب وتوسيع نطاق نشرها. ويتحدث كل واحد من هؤلاء عن الكتاب من وجهة نظره

الخاصة، مع إيمان كامل بأن الكتاب وسيلة من وسائل الاتصال لا تفوقها أي وسيلة أخرى. وينبع هذا الاعتقاد من أن أعداد المطبوعات واختلاف مستوياتها في تزايد دائم حتى بعد ظهور الإذاعة والأفلام السينمائية والتلفزيون. وفي نفس الوقت فإن هذه الزيادة تعني زيادة مشاكل المكتبات ومحال بيع الكتب ومؤسسات النشر.

وتتسبب زيادة المطبوعات في تقليل السرعة التي يتم بها اعدادها وتجهيزها للقراء. ولم تعد الإجراءات التقليدية لمعالجتها في المكتبات ترضي حاجة العلماء والباحثين، فهناك ما يزيد على ٨٠,٠٠٠ كتاب علمي ينشر سنوياً تعنى بالنسبة للعاملين بالمكتبات ١٥ مليون صفحة من المعلومات لا بد من تسجليها حتى يمكن الحصول عليها فيما بعد. يزيد على ذلك أنه لا توجد مكتبة واحدة في هذا العالم يمكنها اقتناء كل كتاب أو وثيقة منشورة أو حتى على الأقل ما يكفي منها لسد حاجة العلماء والباحثين. وبناء على ذلك فالمكتبات غير قادرة على اعطاء صورة كاملة من مجموع المعرفة الإنسانية المطبوع. وقد كان هذا ممكناً في وقت من الأوقات، في القرن الخامس عشر مثلاً، حين كان هناك ما لا يزيد عن ربع مليون نسخة من الكتب في التداول العام. وفي القرن التاسع عشر ارتفع هذا الرقم لكي يصبح سبعة ملايين عنواناً، مما تطلب تنسيق الشراء وتكوين المجموعات الخاصة واستخدام وسائل تقنية مساعدة.

وليس من شك في أن الكتب سوف تستمر كأداة هامة في نشر المعرفة والحضارة في المستقبل، ومع ذلك ينظر البعض إلى الكتب كمصدر للمعلومات ثقيل وسخيف الاستعمال، ويقترحون وسائل اتصال حديثة لا تكتفي بنقل المعلومات وإنما تعالجها أيضاً كبديل للكتب. وتشير القدرة التقنية الهائلة للعقول الالكترونية والميكروفيلم وغيره إلى تغييرات جوهرية في المكتبات فيما يختص بتجهيز وتخزين المعلومات.

على أن الامكانات التي تتيحها الأجهزة التقنية الحديثة، وخصوصاً للكتب العلمية، لها نفس المزايا التي يريدها الباحثون، وهي العمل على أنشاء بنوك للمعلومات، أي إمكانية نشر المعلومات على نطاق كلي ودولي في نفس الوقت. ويمكن تحقيق ذلك ـ عن طريق شبكة أقمار صناعية واتصالات مع كل أقطار العالم ـ

بإنشاء مركز رئيسي للمعلومات تسجل كل دولة معلوماتها فيه. ومن المؤكد أن تحقيق هذا المشروع ـ بالنظر إلى نواحيه الاجتماعية والسياسية ـ سوف يحتاج إلى مزيد من التقدم في مختلف الميادين المتصلة بانتاج الكتب واستخدامها.

ومن الواضح أن الإذاعة والأفلام السينمائية والميكروفيلم والتلفزيون وغيره من الأجهزة الالكترونية الأخرى قد تفوقت في مجالات اتصال معينة كان الكتاب يحتكرها لنفسه لأجيال عديدة، ومع ذلك ظل الكتاب محتفظاً بتأثيره كأحد سبل نقل المعرفة بل اتسعت دائرة هذا التأثير. وقد استطاعت وسائل الاتصال الحديثة عبر السنين أن تستولي على آذان وعيون الملايين وأن تخطف من الكتاب بعض قرائه المخلصين، ولكن هذه الوسائل أسهمت بطريق غير مباشر في الإعلان عن الكتاب وتعميمه، ذلك أن الإذاعة والفيلم والتلفزيون لا يمكنها سد الثغرات التي تظهر بين الكلمة المنطوقة والمطبوعة.

وعلى الرغم من أن الإذاعة بدت في أول الأمر من وسائل الترفيه إلا أنها كوّنت الإحساس بأنها نوع خاص من الاتصال بين المتحدث والمستمع. وإذا كانت الإذاعة تتميز بأنها تعيد للغة تلك الخصائص التي تضيع عند طبع الكلمة، فإن هذا يفسر لنا ظهور العديد من الساسة والقادة والعظماء وتأثيرهم. فقوة الإذاعة تكمن في قدرتها على إحداث التغييرات المفاجئة. وقد كان لموضع الإذاعة بين وسائل الأعلام الأخرى دائمًا تأثير أقوى ولمدى أطول في المجتمعات الأقل تحضراً، أما المجتمعات الأكثر تحضراً فقد نجحت في تقبل الإذاعة على أنها نوع خاص من أنظمة الأعلام يتميز بالعصبية، فهي تعطيك في زمن قصير نشرات الأخبار والوقت الصحيح بالساعة والدقيقة والثانية وبيانات عن الطقس وحركة المرور مما يقوي الروابط بين الناس. وعندما أرادت الإذاعة أن تتفاعل مع احتياجات الإنسان العصري خصصت له وقتاً للأدب وأوقاتاً للموضوعات الثقافية الأخرى ومنها عادة عرض الكتب الجدية وبرامج «من مكتبة فلان»، الأمر الذي يجعلنا لا نخاف من الإذاعة كمنافس للكتاب.

أما الفيلم السينمائي فقد استطاع أن يحتفظ بجمهوره لفترة أطول من الإذاعة.

ولأن الفيلم يمكنه اختزان ونقل الكثير من المعلومات فهو يمثل خطراً حقيقياً على الكتاب وعلى الصفحة المطبوعة فالكاتب يعجز عن بسط كل التفصيلات دفعة واحدة أمام عيون القراء مثلما تفعل اللقطة السينمائية. وكما دفع التصوير الرسامين إلى التحول نحو الفن التجريدي فقد ثبت الفيلم أقدام الكتاب في مجالات اللغة والرمزية العميقة.

ويرتبط الفيلم بالكتاب ارتباطاً قوياً، فصناعة الأفلام تعتمد بشدة على القصة المطبوعة. والفيلم مثل الكتاب يفترض في جمهوره درجه عالية من الثقافة، ويظل غير واضح المعالم أمام رواده من الأميين. وقد تمكن التقدم التقني في صناعة وحفظ الأفلام من احلالها محل الكتب. وبدأت الأفلام دخول مرحلة الانتشار والتداول مثل الكتب المطبوعة، وأصبح امتلاك آلة عرض وشريط ٨ مللم كافياً لأن نستمتع بالفيلم في عزلة تامة كما تعودنا مع الكتاب. ومع ذلك فمن الصعب إنكار القيم والمتعة الروحية للقراءة وإحلال الصور المرئية محلها. ولم يعد الفيلم من الوسائل التعليمية الهامة بعد قدوم التلفزيون، ولكنه ظل مستخدماً في الكثير من النواحي التسجيلية والتاريخية.

ومن بين جميع وسائل الاتصال كسب التلفزيون لنفسه أكبر الجماهير، وأصبح وسيلة تأثير نفسي واجتماعي في وقت واحد. ولأنه موجود وحاضر دائماً في حياة الناس فقد أصبح كالحاسة السادسة يتيح للمرء الاتصال بكل ما حوله إذا أراد بصرف النظر عن الزمن أو المسافة. وبفضل بثه المتواصل ووجوده الدائم ومحاولاته تلبية رغبات المشاهد العادي فقد أضحى وسيلة فريدة من وسائل الاتصال في نشر الثقافة الجماهيرية. وتميل الثقافة الجماهيرية إلى التلفزيون باعتباره أداة شعبية للتسلية، ولأنه يوافق رغبات وأذواق الإنسان العادي ويناسب عقلية أغلب المشاهدين أكثر من غيره. على أن استغلال التلفزيون كوسيلة للإعلان ـ كما يحدث في دول كثيرة ـ نزولاً إلى رغبة جماهير المشاهدين جعل منه أداة ثقافية ضئيلة القيمة. ومن هنا كثر الحديث عن محنة الثقافة الجماهيرية، وهي محنة ـ كما يقول أصحاب النظريات ـ حدثت بفضل تطوير وسائل الاتصال التي يعتبر التلفزيون من أهم

وأحدث مظاهرها. ومع كل ذلك فلا يجب أن نغفل فضل التلفزيون على الجماهير في النضج الفكري وتقبل الحقائق مهما كانت، فمن أهم خصائص الاعلام التلفزيوني كشف الحقائق وبسط الآراء المختلفة حتى يلم الإنسان العصري بكل حقائق وأحداث العالم المحيط به. وفي محاولاته إعطاء أكبر قدر من المعلومات يسعى التلفزيون لأن يكون حاضراً في كل مناسبة وفي كل مكان لنقل الأحداث الثقافية والسياسية والاجتماعية في العالم بأسره، فانفتاحه على كل مجالات الحياة يشجع الناس على الاقتراب منه.

وقد أثارت إمكانات التلفزيون الضخمة وشعبيته الهائلة مناقشات واسعة حول وسائل اتصال أخرى. فقد أدى استخدام التلفزيون في مجالات التربية والتعليم بالبعض إلى الاعتقاد بأن الكتاب سوف يموت تدريجياً، حتى أن بعض التربويين يستخدمون الوسائل التقليدية في المدارس اعتقاداً منهم بأن حجب استخدام الوسائل الحديثة سوف يساعد على بقاء دور الكتاب في حياة الإنسان العصري. ومهما بلغ اهتمامنا بالكتاب فإن المرء لا يمكنه اغفال حقيقة أن التلفزيون كوسيلة اتصال يناسب تطلعات الأجيال الشابة، وأنه يسير في توافق مع تطور الحضارة التقنية، وأن تلاميذ المدارس يقبلون عليه دون اعتراض أو تحفظ. وتؤكد التقارير الواردة من دول عديدة أن الجمع بين الوسائل التقليدية والتلفزيون قد أسهم في تحسين التعليم، فمن المسلم به أن برامج التلفزيون التعليمي التي تتجاوب مع متطلبات التربية والتعليم وتطبيقها على المناهج الدراسية توسع الأفق، كما أن التلفزيون يمنح الفرص لتحسين طرق التدريس والنهوض بالثقافة الجماهيرية دون أن يهمل دور المدرس. ولن تستطيع هذه الخصائص التي يتميز بها التلفزيون أن تمحو الكتاب تماماً، لأنها ليست البديل للكتاب أو للطباعة.

صحيح أن أعداداً كبيرة من المشاهدين لم يكونوا قراء مستديمين، ولكن حاجتهم للمعرفة يلبيها الإعلام السريع الجذاب المثير الذي يوفره التلفزيون، وصحيح أن التلفزيون يجتذب الجماهير بالرغم من أن المعلومات التي يوفرها غالباً ما يشوبها التكلف وعدم الاكتمال إذا قورنت بما نجده في الصحف، ومع ذلك ففي

وسع إنسان أن يزعم بكل اطمئنان أن التلفزيون بعد أن يقوم برفع المستوى الثقافي لجماهير المشاهدين سوف يظل نفس الأداة التي تساعد على كشف القيمة الحقيقية للكتاب ويعطي المعلومات المرئية حجمها الحقيقي. يضاف إلى ذلك أنه بالرغم من ظهور عصر التلفزيون فإن انتاج واستخدام الكلمة المطبوعة لا يشير إلى أن الكتاب سوف يخسر المعركة أمام وسائل الاتصال الحديثة.

وطبقاً لإحصاءات «يونسكو» بلغ الانتاج العالمي من الكتب في عام ١٩٧٠ ميلادي ٢٨٥ ألف عنواناً بما يعادل ثمانية مليارات من النسخ. وبالمقارنة مع أرقام عام ١٩٥٠ نجد أن الانتاج العالمي من الكتب قد تضاعف مرة واحدة، وأن مجموع التداول قد تضاعف مرتين. كما تضاعف في نفس الفترة عدد الأفراد الذين محيت أميتهم، وإذا إستمر إنتاج الكتب في الزيادة فسوف يبلغ في القرن العشرين وحده ٢٥ مليون عنواناً وربما أكثر. وقد بلغ مجموع ما انتجته أفريقيا وأمريكا اللاتينية وآسيا (عدا اليابان) ١٩ ٪ من إنتاج العالم من الكتب على الرغم من أن القارات الثلاث تضم ٥٠ ٪ من المجموع الكلي للذين يعرفون القراءة والكتابة من سكان العالم و٦٣ ٪ من مجموع تلاميذ المدارس. ومن هنا يتضح عدم التناسب في الانتاج العالمي من الكتب، ويرجع ذلك إلى تطوير صناعة النشر في الدول المتقدمة صناعياً واختلاف سوق الكتاب. ولذلك كله ليس من المعقول أن يتنبأ البعض بانحسار الكتاب أمام وسائل الاتصال الحديثة الأخرى.

ونحن نعتقد تمام الاعتقاد أن الوسائل التقنية بطبيعتها وأهدافها سوف تقف إلى جانب الكتاب وتقدم له يد المساعدة وذلك بتأمين انتاج أسرع وأرخص والعمل على تحسين مستواه. وليس شكل الكتاب مهمًا ولا الأساليب المتبعة في إنتاجه، إنما المهم هو أن الكلمة المطبوعة كتعبير أو سجل لتطور الإنسان وكوسيلة لشرح المستقبل عن طريق الماضي تشيد الجسور أمام الأجيال. فما من قوة استطاعت أن تشيع الضوء مثلما يفعل كتاب صغير، ولن تملك الطاقة الكهربائية قوة أكبر من تلك المدفونة في الكلمة المطبوعة. وبعد كل هذا نخشى على الكتاب من الوسائل التقنية؟ ألم تتطور هذه الوسائل نفسها إلى الأحسن بفضل الكتب؟ إن الكتاب سوف يظل حياً لأنه أساس كل علم.

للقراءة أهداف وأنواع

ان كل من يقرأ هذا المقال لا بد أنه يعرف كيف يقرأ. لكن القارىء الجيد ليس فقط شخصا يعرف كيف يقرأ، انما هو أعلى من ذلك بكثير، فهو يعرف ايضا الأشكال المختلفة للقراءة، وهو ملم كذلك بالمهارات العديدة التي تساعد على القراءة الفعالة. وهذا عرض سريع لأنواع القراءة، والمهارات القرائية التي تتناسب مع كل واحد منها. فربما تجد لديك أيها القارىء ـ بعد قراءة هذا المقال ـ الوقت والرغبة في قراءة أشياء أكثر من ذي قبل، وربما أيضا تجد المتعة والرضا فيما سوف تقرأه مستقبلا.

وسواء كنت تقرأ للاستفادة أو للمتعة فهذا لا يتوقف عليك وحدك، فالمؤلف والناشر كلاهما يستطيع أن يعوق قراءتك؛ فالمؤلف قد يجعل من الموضوع السهل مادة صعبة الفهم بكتابته الرديئة، والناشر قد يثنيك عن متابعة الكتاب بما يقدمه لك من تصميم هزيل أو اخراج ضعيف.

والقراءة الفعالة تعتمد على ذهن الانسان وليس على عينيه، فالعينان يمكنهما قراءة كتب كاملة في وقت قصير، أما ما يحد من سرعة القراءة فهي قدرة الذهن على ترجمة الحروف التي تراها العينان الى أفكار ومعلومات لها معانٍ ودلالات. ومما لا يحتمل الشك أن بالامكان تدريب الذهن على تقبل سرعات قرائية أكبر بكثير من تلك التي يستخدمها القارىء العادي. والسرعة العالية في القراءة هي أحدى العلامات المميزة للقارىء المتمرس. ولكن ان كانت هناك سمة تميز القارىء الجيد عن غيره، فهي المرونة. فالقارىء الجيد هو الذي يستخدم عددا من السرعات والأساليب القرائية المختلفة، وفوق ذلك هو الذي يحدد لنفسه الهدف من قراءة كتاب أو مقال، ويحاول أن يكيّف أسلوب قراءته وفقاً لذلك الهدف.

وتتعدد الأسباب التي تدفع الناس الى القراءة، فهم يقرأون لكي يجتازوا الامتحانات، أو لتفهم بعض التعليمات، أو ليروا أن كانوا قد قرأوا الكتاب من قبل، ليحفظوا أبياتاً من الشعر، أو حتى لكي يروحوا في النوم. وبالمثل فان الناس على

اختلافهم يقرأون نفس الكتاب لدواعي مختلفة، كما ان الفرد قد يقرأ نفس الكتاب لسبب من الأسباب في احدى المناسبات، ثم لسبب آخر في مناسبة أخرى. كل هذا يشير الى أن الحياة اليومية يتسع فيها المجال للمرونة في القراءة. ويرى المتخصصون أن الأسباب الداعية الى القراءة يمكن أن تجتمع وأن تدرس وتناقش تحت أربع مجموعات هي: **القراءة للترفيه ـ القراءة للحصول على حقائق محددة ـ القراءة للفهم ـ القراءة للنقد**. فهذه المجموعات الأربعة تمثل الأنواع الأساسية للقراءة. ويجيء ترتيبها على هذا النحو لسببين: الأول، أنها تتجه صعوداً نحو الأصعب، والثاني أن هذا الترتيب يحول دون تكرار الحديث عن المهارات اللازمة للأنواع المختلفة من القراءة.

القراءة للترفيه:

ان القراءة الترفيهية هي قراءة الاسترخاء، تلك التي نختارها نحن وليست القراءة المفروضة علينا. إنها القراءة للاستمتاع، بالرغم من أننا قد نجد في أنواع اخرى للقراءة. وللقراءة الترفيهية قواعد قليلة نسبيا ينبغي اتباعها، حيث أن ما يتحكم فيها هي المتعة لا الجودة. ويعد القصص أكثر أنواع القراءة الترفيهية شيوعا، ولا يقتصر القصص على الكتب، وانما نجده أيضا في المجلات والصحف اليومية، ومع ذلك فالبعض يفضل الاسترخاء مع كتب التاريخ أو أدب الرحلات. وأغلب مواد القراءة الترفيهية مكتوب بأسلوب سهل يساعد على القراءة السريعة. ولأن مضمونها واضح عادة فان الذهن والذاكرة يعملان معها دون جهد يذكر. وقد تصادفك أحيانا كلمة لا تعرفها، عندئذ لا تتوقف عن القراءة للبحث عن مدلولها في أحد المعاجم، بل استمر في القراءة حتى نهاية الفقرة، وغالبا ما ستكتشف أنك قادر على فهم معناها من سياق الكلام الذي وضعت فيه. وعلى أي حال، اذا أحسست بعد الوصول الى نهاية الفقرة أن معنى الكلمة لا يزال غامضا، فاذهب للبحث عنها في أحد المعاجم. وعموما فان القراء الجيدين لديهم في العادة حصيلة واسعة من الكلمات ومعانيها.

وقد يستخدم البعض علامة القراءة، وهي التي تأتي مع بعض الكتب لتحديد مكان انتهاء القراءة، دون الحاجة الى اضاعة الوقت في البحث عن ذلك المكان عند استئناف القراءة فيما بعد. وهناك من يستخدمون قصاصة صغيرة لذات السبب، أو يستخدمون بطاقة رقيقة يدونون عليها بعض الملاحظات أو التعليقات وهم يتابعون القراءة. ولن تحتاج بطبيعة الحال الى تدوين العديد من هذه الملاحظات عند القيام بقراءة مسلية ، وانما يمكنك كتابة معاني بعض الكلمات الصعبة أو المصطلحات الغامضة التي ذهبت للبحث عنها في أحد المعاجم على هذه القصاصة. ففي كل مرة تقوم فيها بفتح الكتاب ستطالعك هذه الكلمات ومعانيها مما يساعد على ترسيخها في الذهن عند الفراغ من قراءة الكتاب.

القراءة للحصول على حقائق محددة:

ان القراءة للحصول على حقائق محددة تعني القراءة بهدف تحديد موضع حقيقة ما أو حقائق معينة في احدى الكتابات المنشورة ، كالبحث عن أرقام الهاتف، أو عناوين الأفراد أو المؤسسات ، أو هجاء كلمة تستخدمها في كتابة رسالة. انها شكل غريب من أشكال القراءة، حيث يتركز اهتمام القاريء على البحث عن كلمات أو أرقام بدلا من قراءة صفحات أو فقرات بانتظام. واذا لم تكن تعرف بالضبط الموضع الذي توجد فيه الحقائق المطلوبة في المطبوع، فلا مناص من استخدام أسلوب الفحص السريع.

والفحص السريع هو تمرير البصر بسرعة فوق السطور المطبوعة الى أن يتحدد مكان المعلومة المرغوبة. عندئذ تبدأ العينان في القراءة بشكل طبيعي. على أن القراءة للحصول على حقائق محددة تختلف عن غيرها من أنواع القراءة في أنها تتطلب أن يستخدم المرء ذكاءه وتفهمه الى حد، فهي ليست كالقصص حيث توجد الحبكة الروائية أو تسلسل أفكار المؤلف ، انما هي ببساطة محاولة العثور على حقائق معينة.

وفي هذا النوع من القراءة يصبح القلم والورق ضروريين، حتى تتمكن من

تسجيل الحقيقة فور العثور عليها. وبعد تدوينها تأكد من أنك دونتها بدقة. واذا كان من الصعب تحديد موضع الحقيقة المطلوبة نسبة الى طريقة عرضها، كأن تكون مثلا وسط كلمات أو سطور مطبوعة بالحروف الصغيرة، أو رقما محشورا داخل قائمة مليئة بالأرقام، فلا مفر من استخدام القلم أو الاصبع كي يقود عينيك من أعلى الصفحة الى أسفلها حتى المكان المحدد. وعموما فان القراءة بغرض الحصول على حقائق محددة تستلزم استخدام كتب المراجع السريعة مثل المعاجم والأدلة والموسوعات. وسوف تتمكن من تحديد موضع الحقيقة بسرعة وسهولة اذا تبينت طريقة ترتيب المعلومات بالكتاب، والارشادات التي يقدمها الكتاب لمن يستخدمونه. وأنت بالطبع في غنى عن التذكير بأهمية صفحة المحتويات أو كشاف الكتاب في هذا الصدد.

القراءة للفهم:

اذا كانت القراءة للترفيه تستلزم من القارىء متابعة فكرة أو حبكة روائية، واذا كانت القراءة للحصول على حقائق محددة تستدعي اقتناص معلومات معينة فور العثور عليها، فان القراءة للفهم تحتاج الى القيام بهذين العملين في وقت واحد. وتتخذ القراءة للفهم أشكالا عدة، مثل قراءة صحيفة بغرض معرفة ما يدور في عالم اليوم، أو القراءة بهدف التعرف على طريقة تفصيلِ بعض الثياب أو اصلاح عطب بالسيارة أو تركيب لوح من الزجاج.. وهي أيضا قراءة الكتب الدراسية المقررة للنجاح في الامتحانات.. واخيراً وليس آخراً هي القراءة لفهم الأفكار والمواقف والحقائق أيضاً. والقراءة للفهم تفتح أمامنا آفاقاً واسعة لاستخدام الذهن كما تمنحنا مجالاً هائلاً للاعتماد علىَ عدد من الأساليب القرائية. وهذا يجرنا إلى تمهيدية على الشيء المراد قراءته قبل أن نشرع في القراءة. وهذه النظرة العامة التمهيدية مهمة للغاية، فقد تكون المادة القرائية غير جديرة بالقراءة. ويمكن اتباع هذا الأسلوب مع القراءة للترفيه، ولكنه ينتمي بالدرجة الأولى الى القراءة للفهم.

وتوجد ثلاث مراحل في النظرات العامة التمهيدية. فالمرحلة الأولى منها تتم

بسرعة فائقة وتعتبر نوعا من الاستطلاع غير المقصود، وفيها يلقي القارىء نظرة سريعة لا مبالية الى المادة القرائية ليرى ما اذا كانت تستحق أن يضحي من أجلها بوقت أطول. وكلنا نفعل ذلك عندما نقف بين رفوف احدى المكتبات بحثا عن كتاب ذي أهمية، أو عندما نفض صحيفة يومية لقراءة العناوين الكبيرة، أو عندما نقلب صفحات احدى المجلات. فاذا عثرنا بين الرفوف على كتاب يستحق القراءة أخذناه الى منضدة قريبة كي نفحصه فحصا أوفى، أو قد نستعيره الى خارج المكتبة واذا وجدنا في الصحيفة أو المجلة عنوانا يشد انتباهنا فاننا نتوقف عن الاستطلاع ونبدأ في قراءة المقال.

وفي الحالين قد يساورنا الشك في أهمية المقال أو الكتاب، لذلك فاننا نلقي اليه نظرة اضافية، وهذه هي المرحلة الثانية . والنتيجة ضرب من الاستطلاع الهادف، وذلك بالنظر الى عناوين الفصول، والى وصف الناشر لمحتويات الكتاب المطبوع على غلاف جلدته المصنوع من الورق، والى أي خلاصات نجدها في الكتاب أو في المقال، حتى يتأكد لنا أنه يحوي شيئا ذا فائدة. وقد لا تكفي هذه المرحلة الثانية لاعطاء فكرة عن مضمون الكتاب، ولكنها كافية دون شك لمعاونتنا في تقرير ما اذا كنا سنقرأه.

أما المرحلة الثالثة والأخيرة من النظرات التمهيدية فهي التصفح. ويتم التصفح لأغراض تختلف نوعا ما عن أغراض المرحلتين السابقتين، كما أنه يؤدي مع القراءة للفهم والقراءة للنقد فقط، والهدف منه في الواقع معاونة الذهن في تحديد المادة القرائية كما تظهر من تنظيم المؤلف لها، وفي ذات الوقت للوقوف على مخطط أو هيكل المطبوع. وعندما تبدأ القراءة الفعلية يكون الذهن مهيأ، بفضل التصفح، للعمل بنشاط أوفر.

ويقتضي تصفح المقال قراءة العنوان الرئيسي والعناوين الفرعية إن وجدت، وفقرة البداية، وأي رؤوس قد تصادفك بعدها، وفي نهاية المطاف فقرة النهاية. واذا كان عدد الرؤوس قليلا أو كان المقال قصيرا فيفضل أن تقرأ جملة البداية من كل فقرة، وغالبا ما تحوي جملة البداية جوهر الفقرة بأكملها. أما تصفح الكتاب فيقتضي

قراءة العنوان الفرعي ان وجد، وصفحة المحتويات، ومقدمة المؤلف، ثم بعض صفحات النص على سبيل «العينة» وخصوصا الصفحات الأولى والأخيرة.

وعند القراءة للفهم أو النقد عليك أن تتلو النظرة العامة التمهيدية بالتوقف برهة لكي تسأل نفسك أسئلة مثل: لماذا أقوم بهذه القراءة؟ ماذا يريد المؤلف أن يقول؟ ما مقدار معرفتي الحالية بالموضوع؟ والسبب في استخدام أسلوب التساؤ ل أنه يجعل الذهن أكثر ادراكا لما يحتاج الى أيجاده أو فعله أثناء القراءة التي أنت على وشك القيام بها.

وأثناء قراءة الكتاب أو المقال استمر في تساؤلاتك، وتوقف بين حين وآخر لتذكير نفسك بما استفدت من هذه القراءة، كأن تتساءل: هل تراني فهمت كل ما قرأت؟ وان صادفتك فقرات تتناول معلومات أوأفكاراً تعرفها بالفعل، عليك بزيادة سرعة القراءة الى درجة الفحص السريع حتى تصل الى مادة فيها الجديد بالنسبة لك وأنت تلقي نظراتك العامة التمهيدية أن بعض الأجزاء لا علاقة لها بالموضوع الذي تريد فلا تتردد في أن تتخطاها كلية.

وتحتاج القراءة للفهم الى قلم في متناول يدك حتى تضع علامات أمام الفقرات التي ترغب الرجوع اليها في الهامش، هذا اذا كان الكتاب ملكا لك، أما اذا كان ملكا للغير فاستعن بقصاصة كي تدون عليها أرقام الصفحات المطلوبة. وقد يكون من المفيد أن تمسك بالقلم في يدك أثناء القراءة فهذا لا يساعدك فقط على كتابة الملاحظات والتعليقات بالهوامش، انما يحثك على التركيز أيضا.

على أن القراءة للنقد ـ كما سوف نرى ـ تتطلب قدرا كبيرا من التفكير والتركيز في حين أن القراءة للفهم تستلزم ذهناً نشطاً. وناقداً الى حد ما. انها تستلزم ذلك الذهن القادر على أن يفكر بطريقة «هذه نقطة لا بأس بها» أو «هذا غير معقول» أثناء متابعة القراءة.

وبعد الفراغ من قراءة الكتاب أو المقال لا تطرحه جانبا ثم تنساه، ولكن فكر فيما قرأته، واسأل نفسك ما اذا كنت قد وجدت ما تريد، وما اذا كنت قد أدركت

وفهمت ما يرمي اليه المؤلف، وهذا ما يسمى المراجعة. وقد تشعر نتيجة لهذه المراجعة أنك في حاجة الى اعادة قراءة أجزاء مما قرأته، كما انك قد تقرر العودة لفحص تلك الفقرات أو السطور التي وضعت علاماتك أمامها بالهامش.

وتستلزم القراءة للفهم أحياناً أن تحفظ عن ظهر قلب بعض الحقائق أو حتى بعض الفقرات، لذلك فإن إعادة قراءتها تعتبر ضرورية. ولا تنسى أن تنطق الكلمات التي تريد حفظها بصوت مسموع، فذاكرتك عندئذ تسمع وترى ما عليها أن تحفظه، ويساعد هذا الانطباع المزدوج كثيراً في عملية الحفظ.

القراءة للنقد:

تعتبر القراءة للنقد أعلى درجات القراءة وأكثرها تقدما. وهي تشتمل على عمليتين: الفهم والاحساس بقيمة أو قدر ما تقرأه.
وتستلزم القراءة للنقد نفس أساليب القراءة للفهم، ولكنها تتطلب أيضا القدرة على تحليل وتقييم أفكار المؤلف ومعلوماته. ويقوم بالقراءة النقدية ـ على سبيل المثال ـ طلاب ودارسو الأدب كما يقوم بها الأساتذة عند تصحيحهم أوراق وأبحاث طلابهم، مثلما يزاولها نقاد الكتب. انها نوع من القراءة يجب أن يتم على مرحلتين، تسبق فيهما عملية الفهم عملية التقييم والتقدير. وعموما ففي استطاعتك أن تربط ذهنيا بين ما تقرأه وبين أفكارك وتجاربك الشخصية، وأن تضع يديك على نقاط القوة أو الضعف في الشيء المكتوب متى فهمته. وفي مرحلة التقييم يمكنك أن تتساءل: ما هو مركز المؤلف؟ ما هي اتجاهاته؟ هل هو متحامل أو متحيز؟ هل تركت قراءتي له انطباعاً على أفكاري؟ هل يقدم آراءه وأفكاره ومعلوماته على نحو كاف، أم أن كتابته مشوشة مليئة بالأخطاء أو بالحذف أو الاغفال؟.

وقد تستوجب القراءة للنقد بعد مثل هذه التساؤلات اعادة قراءة بعض الأجزاء على سبيل المراجعة للتأكد من أنك لم تغفل احدى النقاط الهامة، وحتى يكون تقييمك لما قرأت صحيحا وعادلا.

وبعد هذا العرض لأشكال القراءة المختلفة وما يتطلبه كل واحد منها من

أساليب، يتبقى أن ننظر الى حقيقة هامة هي أن القراء المتمرسين لا يختارون فقط الأسلوب الأمثل لما يقرأونه، وانما يتجنبون كذلك العادات السيئة في القراءة. فمن العيوب الشائعة القراءة بالحرف الواحد وكذلك الارتداد، يزيد على ذلك أن قراء كثيرين لا يهتمون بالعوامل الجانبية التي تؤثر في قراءتهم كالجو المحيط بهم.

والقراءة الحرفية (كلمة تلو كلمة) هي أن تدع العينين تتوقفان للنظر الى كل كلمة تقرأها وهي عادة سيئة لأن الكلمات ليست لها أهمية في حد ذاتها، وانما المهم مجموعة الكلمات التي تؤدي إلى معنى. فلو حاولنا القراءة كلمة أثر كلمة لأضحت قراءتنا بطيئة ومملة، ولما رأينا الغابة من الأشجار. . . ويميل قراء الكلمة تلو الكلمة إلى أن يلقنوا أنفسهم كل كلمة يقرأونها، وكثيراً ما نراهم يحركون شفاههم وهم يقرأون. لذلك قراءة مجموعات الكلمات التي تؤدي الى معان، لا الكلمات الفردية سوف تقلل من هذا الميل الى «التلفظ».

أما الارتداد فهو الرجوع الى الوراء، واعادة قراءة سطر أو جملة انتهيت للتو من قراءتها. والسبب الرئيسي للارتداد هو الحاجة الى تأكيد فهم ما فرغنا من قراءته. والارتداد أمر طبيعي اذا كانت القراءة تتعلق بموضوع صعب أو غير مألوف، ومع ذلك فينبغي أن يبقى عند حده الأدنى، والا اتسمت قراءتنا بالبطء ولم تمنحنا الاشباع الكافي. ولتقليل من الارتداد عليك باستخدام نفس الأسلوب الذي تستخدمه عندما تصادفك كلمة لا تعرف معناها. . عليك بالاستمرار في القراءة فقد يتضح المعنى من سياق الكلام.

على أن تأثير الأجواء المحيطة بالقراءة لا يمكن لأحد أن ينكره، فالقراءة على ضوء الشموع مثلا لا ينصح بها انسان، لأن القراءة الفعالة تحتاج الى ضوء مناسب كما تحتاج الى الدفء والهدوء النسبي. صحيح أن بعض القراء يمكنهم مزاولة القراءة وهم غافلون تماماً عن أي شيء حولهم، ولكن الأفضل أن نبحث عن المكان الملائم ـ خصوصا وقت القراءة الجادة ـ حيث يتسنى لنا التركيز بسهولة.

وان كان عليك القيام بقراءات طويلة فلا ينبغي الافراط أو المبالغة، وامنح

عينيك وذهنك فترات راحة قصيرة من العمل، فالوقت الذي تفقده في القراءة بفعل هذه الفترات سيعوضه حتما قلة الاجهاد.

وفي الختام أراني مضطرا الى تكرار ما قلته في البداية من أن القارىء الجيد يتميز بالمرونة في استخدام مهاراته وسرعاته القرائية، كما ان الافتقار الى هذه المرونة يعد عيبا قرائيا لا يقل عن العيوب التي ذكرت.. لذلك تذكر وأنت تتأهب للقراءة أن تحدد الهدف من قراءتك في البداية وبعد ذلك يمكنك أن تصوغ لنفسك خطة للقراءة تعاونك بفعالية على تحقيق هذا الهدف.

كَيفَ تجد الوَقتَ للقِـرَاءَة ؟

اذا كنت قارئاً عادياً فباستطاعتك قراءة الكتاب العادي بسرعة لا تقل عن ٣٠٠ كلمة في الدقيقة الواحدة، ولكنك مع ذلك لن تتمكن من المحافظة على هذا المستوى من السرعة الا اذا كنت تقرأ يومياً وبانتظام. كما انك لن تصل هذه السرعة في القراءة اذا كانت الكتب في المجالات الصعبة مثل العلوم والرياضيات والزراعة والاقتصاد، أو اذا كانت تتناول موضوعات جديدة عليك أو درايتك بها قليلة.

وأغلب الظن أنك لن تجرب هذه السرعة في القراءة مع كتب الشعر أو مع بعض فقرات من قصة تحتاج الى الوقوف عندها ولو قليلا، ولكن القارىء المتوسط لن يجد صعوبة تذكر في استيعاب معظم القصص والتراجم وكتب الرحلات والهوايات والاهتمامات الشخصية بمعدل ٣٠٠ كلمة في كل ستين ثانية.

على أن الاحصائيات ليست دائما ذات قيمة من الناحية العملية. فلنتأمل معا ما يمكن أن يفعله القارىء العادي اذا كان في مقدور هذا القارىء أن يقرأ ٣٠٠ كلمة في الدقيقة الواحدة. ان ذلك معناه أنه يستطيع أن يقرأ ٤،٥٠٠ كلمة في ١٥ دقيقة، واذا ضربنا هذا الرقم في ٧ ـ وهي أيام الأسبوع ـ فان الناتج يكون ٣١،٥٠٠ كلمة. واذا ضربنا هذا الرقم الأخير في ٤ ـ وهي أسابيع الشهر الواحد ـ لبلغ الناتج ١٢٦،٠٠٠ كلمة. بقي أن نضرب هذا الرقم في ١٢ ـ عدد شهور السنة الواحدة ـ لكي يصل الناتج الى ١،٥١٢،٠٠٠ كلمة، وهذا هو المجموع الكلي للكلمات التي يمكن للقارىء العادي أن يقرأها بمعدل ١٥ دقيقة يوميا لمدة عام واحد.

ويتراوح عدد كلمات الكتاب الواحد ما بين ٦٠،٠٠٠ و ١٠٠،٠٠٠ كلمة، ولو أن الكتاب لا يزيد عدد كلماته عن ٧٥،٠٠٠ كلمة. وبحسبة بسيطة يمكننا أن نقول أن باستطاعة القارىء العادي الذي يقرأ لمدة ١٥ دقيقة يوميا أن يكمل قراءة ٢٠ كتابا بالنسبة الواحدة. وقد يعتبر هذا رقما خياليا اذا قيس بمعدل ما يقرأه رواد المكتبات العامة بالولايات المتحدة الأمريكية مثلا، والذي لا يزيد على خمسة كتب للفرد

سنويا، ومع ذلك فهو أمر سهل ممكن الحدوث.

وأعرف قراء كثيرين بينهم الطبيب والقاضي والأستاذ والجندي وكلهم يؤمنون بحقيقة واحدة، هي أن من يريد اكتشاف أعظم تجارب البشرية عليه أن يقرأ ما كتبه الآخرون. ويواجه أغلب هؤلاء القراء مشكلة واحدة: ضيق الوقت، فتراهم مشغولين دائما بأعمالهم وحياتهم اليومية التي لا تترك لهم سوى ساعات قلائل يقضونها في النوم وتناول وجبات الطعام وممارسة الوظائف الجسمانية. وقد توصل أحدهم الى حل هذه المشكلة بنفسه! فقد كان يخصص آخر ١٥ دقيقة من يومه للقراءة، أي قبل النوم مباشرة، فاذا ذهب لينام في الحادية عشرة مساء فانه يقرأ من الحادية عشرة الى الحادية عشرة والربع، وان دعته ظروفه للسهر حتى الثانية صباحا، فانه يقرأ من الثانية الى الثانية والربع.. وهكذا عود صاحبنا نفسه على القراءة اليومية لفترة طويلة من حياته ولم يكسر القاعدة التي بناها لنفسه مرة واحدة. ولم يقتصر الأمر على هذا الحد، بل ان رفاقه اكتشفوا بمضي الوقت أن النوم يتعذر عليه اذا لم يؤد هذه القراءة اليومية.

ولنتأمل معاً ما يمكن أن يجنيه المرء من قراءة كهذه طيلة حياته، والموضوعات المختلفة والاهتمامات المتنوعة الممكنة خلال عمر بأكمله. ان أهم ما يميز هذا الرجل مقدرته على الاجابة عن سؤال يقلق بال معظم أولئك الذين يحيون حياة كلها عمل وانشغال.. هذا السؤال هو: كيف أجد وقتا للقراءة؟

وليس من الضروري أن تكون الاجابة هي الربع ساعة الأخيرة قبل الذهاب للنوم، وانما ربع ساعة يوميا يقضيها الانسان في القراءة في أي وقت يشاء. وحتى أكثر الناس ازدحاما بالأعمال والمشاغل سيجدون حتما ١٥ دقيقة يوميا من الفراغ.

وثمة سبل عديدة يمكن للمرء بها أن ينمي هذه العادة، عادة القراءة اليومية، منها على سبيل المثال أن يحمل معه كتاباً صغير الحجم ليقرأ منه في الأوقات التي لا يقوم فيها بعمل ما، في أوقات الفراغ أو الانتظار: انتظار وجبة طعام أو حافلة للركوب أو طبيبا أو حلاقا أو مكالمة هاتفية أو موعداً لزيارة أو عرضاً مسرحياً أو سينمائياً...وما أكثر أوقات الانتظار في حياة الشخص العادي منا.

ولا يمكن بالطبع تحديد وقت معين للقراءة لكي يحتذي به كل الناس، بل يتوجب على كل فرد منا أن يبحث لنفسه عن ربع ساعة يومياً ،ومن الأفضل أن يكون ذلك بصفة منتظمة. وكم تبلغ دهشتك عندما تكتشف أن هذه الدقائق تزيد يوماً بعد يوم، وبدون اعداد مسبق. أهم ما في الأمر الرغبة الأكيدة في القراءة، فبهذه الرغبة ستجد حتما هذا الدقائق مهما تكن مشاغلك. كما يجب أن يكون الكتاب على مقربة منك كأن تضعه في جيبك حينما ترتدي ملابسك أو تضعه بجوار الفراش، أو في الصالون، أو بالقرب من مائدة الطعام. وعندما يتحقق لك ذلك فبوسعك قراءة كتابين كل شهر، وعشرين كتابا كل سنة، وألف كتابا وربما أكثر طول حياتك.

القِـــرَاءَة وَالتَّغــَـيُّر الاجتمَاعي

في هذا العصر المتأجج بالأحداث المليء بالإثارة لم تعد القراءة ترفاً أو إمتيازاً مقصوراً على القلة المختارة، وإنما أصبحت ظاهرة عامة لها خصائصها الاجتماعية. كما أن الدور الذي يؤديه الكتاب في المجتمع قد تغير هو الآخر. فيما مضى كان الناس ينظرون إلى الكتب بإعتبارها مقابر تدفن فيها عقول العظماء، وبمضي الزمن تحولت القراءة إلى ضرورة إجتماعية، كما أصبح الكتاب من أكثر وسائل الاتصال انتشاراً، بل أصبح التعطش إلى القراءة والتوسع في نشر وانتشار الكتب من سمات التحضر والتقدم في عالم اليوم. وكان السبب في ذلك التغيرات الاجتماعية والسياسية والإقتصادية التي مرت ولا زالت تمر بها كافة المجتمعات. لذلك لن تتمكن الدول وبصفة خاصة دول العالم الثالث ـ كما يسمونها ـ من القضاء على الأمية قضاءً مبرماً دون ترشيد وتنظيم القراءة ودون توزيع أكبر للكتب.

وقد أسهم التقدم العلمي والتكنولوجي في نمو دور الكتاب والقراءة. وليست المكتشفات العلمية الحديثة نفسها سوى ثمرة من ثمار النهم إلى القراءة. غير أن الاستخدام الأمثل لهذه الاكتشافات العلمية والتكنولوجية يتطلب قدراً أعلى من المعرفة ورؤ ية أوسع من جانب الأفراد. من هنا كان إهتمام المجتمعات بتعليم وتثقيف الأفراد لمواكبة التطور الحضاري أمراً واقعياً، ومن هنا أيضاً اكتسبت فكرة التعليم المستمر ذيوعاً وانتشاراً لم تنله من قبل.

ويجتهد الناس في المشاركة في حل المشكلات الإجتماعية الرئيسية في عالم اليوم، كما تتنوع أشكال المشاركة تنوعاً ملحوظاً بهدف الوصول إلى السلام والاستقرار العالميين والأمن والتعاون بين الدول. ويوماً بعد يوم تزداد الحاجة إلى توطيد العلاقات بين الأمم وتشجيع التبادل الثقافي والفكري، ويوماً بعد يوم تزداد الحاجة إلى القراءة بفضل الأحداث والتطورات السياسية والاقتصادية المتوالية.

وقد ظلت مناقشة مشاكل القراءة تدور سنوات عديدة، ولكنها اليوم بتأثير التغير الإجتماعي تكتسب طابعاً جديداً، ولم يعد الأمر يقتصر على الدعاية للقراءة

وفوائدها، وإنما أصبح يرتبط بمدى تحمل المجتمع مسؤوليته نحو القراءة من حيث المستوى والمحتوى. وتعتبر هذه الزاوية الجديدة من مشكلة القراءة أحد العوامل الأساسية في التنمية الإجتماعية.

وقد اهتمت الحكومات في دول كثيرة بنشر وتوزيع الكتب كما تبنت تشجيع عادة القراءة بين الناس، وأخذت الدول النامية في آسيا وأفريقيا في القيام بحملات موسعة لمحو الأمية ونشر الثقافة مع التركيز على تنظيم وتعميم القراءة. وبدأت هذه الدول لأول مرة في تاريخها في إصدار التشريعات التي تستهدف رعاية ومساعدة المكتبات. أما دول الغرب فقد قام بعضها مؤخراً بإعادة النظر في التشريعات المكتبية بما يتفق والاحتياجات المتزايدة للقراءة. كما كثرت الوسائل التي تدعو إلى تشجيع القراءة والترغيب فيها على مستوى القاعدة العريضة في المجتمع. ففي فرنسا أقيم اسبوع وطني للقراءة في عام ١٩٦٦ بهدف جذب إنتباه المواطنين للكتب، وفي مدينة (فيينا) عقد مؤتمر في عام ١٩٧١ أتخذ من «المشاكل الحديثة للقراءة وفرص تحسين الوضع الراهن» موضوعاً له. وعكفت الولايات المتحدة منذ عام ١٩٥٧ وبريطانيا منذ ١٩٦٦ على تخصيص وإقامة أسبوع وطني للمكتبات بصفة سنوية. وجاء الإعلان عن العام الدولي للكتاب في ١٩٧٢ من جانب «يونسكو» دليلاً حيوياً على الاهتمام العالمي بمشاكل القراءة والقراء. وكل هذه الأمثلة وغيرها ليست سوى تأكيد وتدعيم لفكرة اضطلاع المجتمعات بمسؤوليتها نحو تنمية القراءة.

ومما لا ريب فيه أن الأحوال الإجتماعية ومستوى التنمية الإقتصادية في الدول المختلفة تمثل العوامل الأساسية في تقرير أهداف ومحتوى وإنتشار القراءة بين الجماعات المختلفة من الناس. وفي ظل الاهتمام الدولي بالقراءة يمكن الوصول إلى حقيقة هامة، هي أن الوظيفة الإجتماعية للقراءة قد تغيرت وأنها أصبحت ظاهرة إجتماعية لها دلالتها الخاصة. والجدير بالذكر أن دارسة القراءة من هذه الزاوية لا تزال تخطو خطواتها الأولى، ومن العسير أن يتنبأ المرء بتأثير ذلك على تداول الكتب مستقبلاً، ومع ذلك فالمرء يمكنه أن يرى بوضوح بعض الاتجاهات الأساسية في تطور الوظيفة الإجتماعية للقراءة. ومن بين هذه الاتجاهات أن القراءة قد أصبحت من

أهم وسائل تكوين الوعي الإجتماعي بين الناس خصوصاً فيما يتعلق بالمعتقدات الفكرية والأخلاقية وقيم الإنسان العصري، ومنها أيضاً أن القراءة أصبحت تستخدم كأداة مكملة للجهود الرامية إلى التعليم المستمر ورفع المستويات الحضارية، ومن هذه الاتجاهات كذلك أن القراءة أصبحت وسيلة لزيادة المعرفة والمهارات المهنية المختلفة وأنها تدفع الناس دفعاً نحو حياة أكثر نشاطاً وابتكاراً.

إن ترشيد وتنظيم القراءة على مستوى الأمة يهدف أساساً إلى الاستخدام الأكمل والأمثل للكتب بإعتبارها من أقوى وسائل التأثير على عقول الناس. أما حرية الاختيار التي يزعمها البعض فهي تبرر التصرفات المعادية للمجتمع والناتجة عن قراءة الكتب التي تخرب العقول وتحث على نشاط الغرائز الوضيعة.

وتصبح الوظيفة الإجتماعية للقراءة ذات أهمية خاصة بالنسبة للجيل الأصغر، فالصغار ينبغي حمايتهم من مثل هذه القراءات الضارة كما يجب تعليمهم قراءة أفضل الكتب سواء للكتاب القدماء أو المعاصرين. وقد آن الأوان لتحريم نشر وتوزيع الكتب الهابطة التي تخرب عقول الناس على المستوى العالمي .وإعتبارها جرائم مدبرة ضد الإنسانية.

ومن المسلم به أنه لا تعليم دون كتب أو قراءة. ولكن عندما نتحدث عن التعليم المستمر الذي يبدأ بعد التخرج في المدرسة الثانوية أو الجامعة أو المعهد، أي ما يستحوذ على ثلثي حياة الإنسان تقريباً، فإن القراءة تبقى الشكل الغالب أو الأوحد لهذا التعليم، وتصبح المكتبات حامية ثرواتنا من الكتب القاعدة الأساسية للتعليم المستمر. وكثيراً ما يشار إلى هذا النوع من التعليم في أدب علوم المكتبات والتربية بالتعليم الذاتي، أي القراءة المستمرة المنتظمة التي تستهدف تجميع وتجديد المعرفة التي يتطلبها عمل الإنسان ونشاطه الإجتماعي. ويمتلىء التاريخ بالأمثلة العديدة على فوائد قراءات التعليم الذاتي في رفع المستوى الحضاري والتعليمي للأفراد، فكم من الناس حرموا من فرص التعليم العالي ولكنهم بمثابرتهم على القراءة المنظمة بلغوا قمم الثقافة واكتسبوا معرفة واسعة ميزتهم عن معاصريهم.

وليس من شك في أن تسليح الناس بالمعرفة والمعلومات عن أحدث الإنجازات

العلمية والتكنولوجية يؤثر تأثيراً مباشراً على الإنتاج، ويسهم في التقدم الإقتصادي للمجتمع. وتتصل القراءات المهنية للمتخصصين في كافة المجالات إتصالاً وثيقاً بالجهود الضخمة في تحسين وتطوير أنظمة المعلومات العلمية والتكنولوجية في العالم أجمع. وقد يقع بعض الناس في خطأ الاعتقاد بأن تطوير أنظمة المعلومات، والأشكال الآلية منها على وجه الخصوص، سوف يؤدي في النهاية إلى إحلال الصورة محل القراءة، وهنا لا بد أن نتساءل: لماذا لا يتعايش الشكلان معاً ـ القراءة واستيعاب المعلومات ـ ولماذا لا يكمل ويثرى أحدهما الآخر؟

إن الحاجة إلى تحليل كامل لتطور الوظيفة الإجتماعية للقراءة في كل دولة على حدة لا زالت ملحة.

رواية القصص والقراءة للأطفال

تعود رواية القصص بصوت عال إلى أزمنة سحيقة، إلى عصر الإنسان البدائي والحياة القبلية القديمة. ومن العسير أن تجد شخصاً إلى يومنا هذا لا يرغب في الاستماع إلى قصة، وقد لا تعدو أن تكون ثرثرة أو حديثاً عابراً أو فكاهة أو مأزقاً أو حادثاً مر به صاحبها، ولكنها تظل رغم ذلك قصة تتحدث عن الناس وتروي لنا ما فعلوه، وكيف ولماذا. وتحتاج دعوة الناس إلى القراءة وهم في سنوات الطفولة والحداثة إلى الإستعانة برواية القصص والقراءة بصوت عال، بعد أن تبين أنهما من أنجح الوسائل، فهما لا يفتحان الشهية فقط وإنما يثيران في النفس رغبة في أن يقرأ الفرد لنفسه ما سمع الآخرين يحكونه.

وعندما يستمع الأطفال إلى القصص، شعراً كان أم نثراً، فإنهم يتعرفون تلقائياً على القوافي والأوزان والبناء اللغوي الذي تقوم عليه اللغة المدونة. انهم بذلك يتعلمون سماع ما هو مطبوع. فعند الاستماع إلى كلمات مطبوعة يكتشف الإنسان ألوانها وحيويتها وحركاتها وصداها. ومعظم الناس، كباراً كانوا أو صغاراً، يقرأون كثيراً كما يقرأون بسرعة، ولا يملكون القدرة على التوقف أثناء القراءة، وقد يتجاوب البعض منهم مع ما تقرأه العين، لكن آذانهم الداخلية تتوقف غالباً عن الانصات، لذلك فإن رواية القصص والقراءة المسموعة تعتبران من أفضل طرق تعليم القراءة للصغار. وثمة ملاحظة أخرى وهي أن قدرة الأطفال على الفهم والإستمتاع بما يتلى عليهم كثيراً ما تفوق قدرتهم على القراءة. فالإصغاء إلى القراءة بصوت عال يقرّب لهم تلك الكتب التي يستطيعون تذوقها بحكم نضوجهم النسبي لكنهم لا يتمكنون من قراءتها بسهولة وهم لا يزالون في هذه المرحلة. أما أولئك الذين يواجهون صعوبات أو مشاكل في القراءة فلا يحرزون عادة مهارة كافية، وعندئذ يصبح إستماعهم للكتب وهي تقرأ أمامهم الوسيلة الوحيدة لاستقبال ما يلقى عليهم.

ومن أوفر مصادر رواية القصص وأكثرها إنتشاراً وتأثيراً في السامعين الأحداث الشخصية، تلك التي تستهل عادة بعبارة مثل: «إنكم لا تدرون بما وقع لي

اليوم . . . » . وفي إعتقادي أن كل مدرس أو متحدث للأطفال لديه رصيد ضخم من الأحداث الشخصية والمواقف المفضلة يساعده على هذه البداية . وفوائد هذا الإتجاه واضحة، فهو يشيد الجسر المناسب في العلاقة بين المتحدث وبين سامعية في سرعة مذهلة . ولأن القصاص يطلعهم على أمر يخصه فهم بدورهم يتجاوبون بالإقبال والرغبة الحقيقية في المشاركة . وهذه مسألة هامة ، لأنهم بذلك ينشغلون باستخدام اللغة الخلاقة ، وهي تجربة مبدئية تساعدهم في الوصول إلى فهم الأدب وتذوقه .

وإذا كانت هذه الثرثرة الأدبية هي البداية ، فإن المتحدث يحتاج بالضرورة إلى مجموعة ضخمة من القصص والحكايات ، يستقيها غالباً من المصادر المطبوعة ، رغم أن حديثه إليهم يتم بتلقائية وعفوية في كل مرة دون الاعتماد على نص مكتوب . أما كيف يتم ذلك فهناك سبل مختلفة . من هذه السبل أن يحفظ المتحدث القصة عن ظهر قلب كما يحفظ الممثل سطوره في الرواية . ويفضل أن يستخدم نفس العبارات التي وردت في القصة إذا كانت مطبوعة شائعة ، فالأطفال لا يملون سماع القصة الواحدة مرات ومرات ، وربما يحتجون لدى سماعهم عبارات مغايرة . والقصص من هذا النوع أو على الأقل أجزاؤه الجوهرية التي لا يمكن التعديل فيها يعتمد أساساً على الذاكرة ، فإذا استحال ذلك فليعتمد المتحدث على القراءة بصوت مرتفع . وحتى لا تفقد القصة الحيوية المطلوبة يستحسن أن يبدأ المدرس بقراءتها لنفسه أو للأطفال ، لكي يصبح قريباً من مقوماتها كالشكل الروائي والحبكة والشخصيات والتفصيلات الأخرى التي تتعلق بالزمان والمكان والدافع والمناخ العام ولحظات النهاية وعنصر المفاجأة . وعليه بعد ذلك أن يتمرن على روايتها بكلمات من عنده في مناسبات مختلفة . وهكذا يصبح الأداء حيوياً منعشاً في كل مرة ، ذلك أن الراوي يجتهد في إيجاد الكلمات التي يغلف بها جسم القصة .

وينصح المتحـ [illegible] ـون بأن يغرق المبتدىء نفسه في الفولكلور والأدب والقصص الشعبي إلى ان [illegible] عليه ، وينصحون كذلك بأن يعتمد في كثير من المصادر على قصص القرآن الكريم والقصص التاريخي الإسلامي ، ففيهما مواعظ وحكمة وبساطة تلقى قبولاً وإستجابة أكبر من الأطفال ، فضلاً عن أنها تغرس في نفوسهم

حب التمسك بأهداب ديننا الحنيف.

وإذا كانت رواية القصص تتطلب الكثير من جانب الراوي فإن القراءة بصوت عال تتطلب الأكثر من جانب المتستمع، فهي فن أقل على صعيد المحادثة، وأقل كذلك على صعيد الاتصال بين المتحدث والمستمع، ذلك أن عنصراً مادياً هو الكتاب يدخل فيما بينهما. يضاف إلى ذلك أن الكلمات المكتوبة محكمة أكثر في المعنى ويشوبها التكلف من حيث البناء اللغوي، لهذا يحتاج المستمع إلى وقت أطول لتلقي معناها وإستيعاب ما يدور. وقد تساعده قليلاً رؤ ية المتحدث بوضوح وإقترابه منه بحيث يشاهد تعابيروجههالتي قد توحي له بمضمون النص وتشعره بشخصية المتحدث.

ويميل الأطفال الصغار قبل وبعد أن يتعلموا القراءة إلى النظر إلى الكتاب والقارىء في نفس الوقت بينما هم ينصتون. أما الأطفال الأكبر سناً فلا يحتاجون إلى النص بين أيديهم إلا حين تكون لغته أصعب من أن يقرأوه لأنفسهم، فرؤ ية الكلمات تساعدهم على فهم ما يسمعون. مثال ذلك الشعر الذي يستدعي الوقوف بين الحين والآخر لاستيعاب بيت أو التحدث حوله.

والفترة الزمنية التي تستغرقها القراءة مسألة تدعو إلى الإلتفات، فمن البديهي أنه كلما صغر الطفل كلما قل زمن ما يستطيع أن يستوعبه. وقد يستفيد الأطفال الصغار دون العاشرة من دقائق قليلة يمضونها في الاستماع، وعندما يبلغون العاشرة تطول المدة إلى عشرين أو ثلاثين دقيقة، وتصل إلى أربعين دقيقة حتى ساعة كاملة إذا كانوا في الرابعة عشرة أو ما بعدها بقليل. والتوقف أثناء القراءة بين آن وآخر أو فقرة وأخرى أمر ضروري لإلتقاط الأنفاس. ويعتمد الأمر كله على طبيعة المادة القرائية، فالكتاب الصعب يحتاج إلى تركيز الانتباه بنسبة أعلى، مما يدفع إلى تقليل الفترة الزمنية بالقدر المناسب.

وكلما زادت قوة النص في تحريك المشاعر كلما قلت رغبة الأطفال في التحدث حوله. لذلك فإن اختيار نصوص القراءة بعناية والتحضير المسبق لها يمنحان الفرصة للتوقف أثناء الأداء، وبذلك يستشعر الجميع طعم الإلقاء والمشاركة والمتعة الذهنية.

وسواء توقف القارىء أو مضى في القراءة، وسواء قطع قراءته قبل الأوان أو إستمر لفترة أطول من المناسب، فإن هذه الأمور تخضع لعوامل عدة منها كفاية الأداء ونوعية النص الذي يقرأ ومدى تقبل المستمعين له. ولا شك أن المدرسين الأكفاء يدخلون عنصر القراءة بصوت عال ورواية القصص في علمهم بسهولة مطلقة دون أن يفقدوا الإحساس بالأداء، كما يجلس الأطفال إليهم في إصغاء تام مع إحساس متدفق بمتعة متوقعة، فهناك دائمًا الجديد والمثير والممتع.

إن رواية القصص والقراءة بصوت عال يحتاجان إلى مهارة لغوية ورغبة متأصلة واستعداد كافٍ، وإلى جانب ذلك فإنهما يعتبران فناً له أصوله وقواعده، ولهما قيمة تعليمية فائقة تستحق من القائمين بهما بذلك الجهد والوقت من أجل الصغار، شباب الغد وعماد المستقبل.

وَسَائِل القِرَاءَة لِلمكفوفين

يرجع البدء في تعليم المكفوفين القراءة بطريق اللمس الى القرن الرابع عشر الميلادي. وكانت الأنظمة الأولى المستخدمة تتكون من حروف الهجاء التي تقدم اليهم في أشكال محفورة أو بارزة. ومع تطور فنون الطباعة والتوسع في محو الأمية بين جميع القطاعات في المجتمع الدولي زادت الحاجة إلى أنظمة القراءة باللمس. وحتى القرن التاسع عشر لم تكن هذه الأنظمة قد تطورت بالقدر الكافي فلم يستفد منها سوى عدد ضئيل جداً من المكفوفين الموهوبين، فلما جاء القرن التاسع عشر أدخلت التحسينات على الأنظمة القديمة وأصبحت هناك فئتان من حروف الهجاء، تعتمد احداهما على النقاط المرفوعة والأخرى على أشكال مبسطة من حروف الهجاء التقليدية المرفوعة أيضاً. ومن بين الأنظمة المختلفة لقي نظام «براى» ونظام «مون» نجاحاً منقطع النظير إلى يومنا هذا.

ويتألف نظام«براى» الذي تبنته جمعيات المكفوفين في فرنسا وبريطانيا في منتصف القرن التاسع عشر من ٦٣ رمزاً تستخدم في تشكيلات عديدة من النقاط المرفوعة. وهو نظام مرن يسمح بالاستخدام اليدوي أو الآلي كما يمكن استعماله للطبعات الكبيرة أو الصغيرة من الكتب، بل يمكن تعديله ليشمل الرموز الموسيقية والرياضية. ولما كانت كتب«براي» سميكة كبيرة الحجم والوزن فقد أمكن تطوير النظام نفسه وذلك باستخدام النقاط المتواصلة في الطباعة مما ساعد على تقليل حجمها. ويعيب نظام«براي» أنه صعب الدراسة حتى على الذين فقدوا البصر في أوج أعمارهم، ورغم ذلك فأعداد القراء التي تستخدمه في كل مكان في تزايد مستمر.

أما نظام «مون» فقد أخرجته بريطانيا في الستينات من القرن التاسع عشر. وهو يتألف من رموز مرفوعة تمثل حروف الهجاء، والرموز واضحة وقوية وتجرى سطورها من اليسار الى اليمين ثم من اليمين إلى اليسار وهكذا لتسهيل القراءة.

ويتصف نظام«مون» بمرونة أقل من سابقه كما يستحيل تعديله ليشمل الرموز الموسيقية او الرياضية، ولعل ميزته الكبرى أنه سهل التعليم خصوصاً للذين أصابهم فقدان النظر في مرحلة متأخرة من حياتهم.

وخلال الحرب العالمية الأولى أصيب عدد كبير من الشباب في بريطانيا بفقد البصر، الأمر الذي دعا المؤسسات هناك الى اختراع وسيلة جديدة استمر تطويرها قرابة خمسة عشر عاماً. وظهرت هذه الوسيلة في شكل كتاب ناطق في منتصف عام ١٩٣٥. واعتمد الكتاب الناطق على اسطوانات مسجلة بسرعة ٢٤ لفة في الدقيقة الواحدة تحوى خمسين دقيقة من المواد القرائية، ويحتاج الكتاب في المتوسط إلى ثماني أسطوانات.

أما الولايات المتحدة فقد ظهر بها أول كتاب ناطق في عام ١٩٣٣ باستخدام اسطوانات مسجلة بسرعة ١/٣ ـ ٣٣ لفة في الدقيقة. وقد تغيرت سرعة التسجيل على هذه الاسطوانات فيما بعد لتصبح ١/٣ ٨ لفة في الدقيقة، ولا يحتاج الكتاب الناطق في المتوسط لأكثر من اسطوانتين، ورغم ذلك فإن المؤسسات المختصة هناك تتجه الآن إلى استبعاد وسيلة الكتاب الناطق، أو الإبقاء عليها للمجلات التي تصدرها فقط.

وبفضل جهود مهندس الصوت البريطاني«ل. س. بندر» توصلت الأبحاث الى تطوير الكتاب الناطق المسجل على شرائط في عام ١٩٥٩ وذلك كبديل للاسطوانات. ويستطيع الشريط الواحد الذي يبلغ سمكه نصف بوصة وبه ١٨ مجرى أن يستوعب ما مقداره ٢١ ساعة من مواد القراءة. وقد أطلق على هذا النوع«مارك ١» وفي عام ١٩٦٧ بلغ عدد المستفيدين من هذه الشرائط أكثر من اثنين وعشرين ألفاً في بريطانيا وحدها. وكان الشريط الواحد يزن أكثر من ستة أرطال نظراً لأنه موضوع داخل علبة من المعدن القوي حتى لا يتأثر من كثرة التداول. لذلك تطورت صناعة هذه الشرائط وآلة التشغيل حتى أمكن في عام ١٩٦٧ إخراج شريط موضوع بعلبة من البلاستيك يزن ست أوقيات فقط ومسجل عليه ما مقداره ١٣ ساعة من مواد القراءة، وهذا هو النوع المعروف ب«مارك ٤». وقد أثبتت التجارب

أن ٨٠ ٪ من الكتب المنشورة لا يستغرق الواحد منها أكثر من ١٢ ساعة عند قراءته بصوت عال مما يجعل تسجيل أي كتاب على شريط واحد أمراً ميسوراً.

والجدير بالذكر أن شرائط «مارك٤» السمعية مزودة بكشاف مسموع يتألف من حروف وأرقام على الشريط ذاته، حتى يرجع المستمع الى الجزء الذي يريده على الشريط بسهولة ودقة، ويتم ذلك بإدارة جهاز التشغيل بسرعة فلا يسمع من الشريط سوى الحروف والأرقام، كما يستطيع الكفيف أن ينسخ صوتياً من الشريط ما يحتاج اليه من كلمات أو فقرات أو أجزاء أو حتى الشريط كله في زمن وجيز لا يتعدى ١٥ دقيقة.

لذلك كله أصبحت شرائط «مارك٤» أنسب الوسائل للقراءة في مكتبات المكفوفين. وفي عام ١٩٧٢ ارتفع عدد المستفيدين من هذه الخدمة في بريطانيا الى أربعين ألفاً، كما وجدت هذه الشرائط سبل الانتشار في دول أوربية أخرى مثل سويسرا وأسبانيا وفنلندا.

وأخيراً ظهرت شرائط«الكاست» المعروفة لنا جميعاً منذ أوائل الستينات، ويصل استيعاب الشريط الواحد إلى ساعتين من المادة القرائية بسرعة ٧٥و٤ سنتيمتراً في الثانية. وساعد على انتشار شرائط«الكاست» في جميع انحاء العالم صغر أجهزة التشغيل وانخفاض سعرها، ورغم ذلك فإن عيوبها بالنسبة للمكفوفين لا تزال قائمة، فالكتاب الواحد يحتاج إلى ستة شرائط، كما أنها مصنعة للتداول الخفيف، وهي كذلك لا تناسب استخدام المكتبات نظراً لصعوبة عملية النسخ الصوتي. لكـن الأمل في التغلب على هذه المصاعب يزداد عاماً تلو آخر كما أن التطور التكنولوجي الذي يسود العالم اليوم كفيل بإيجاد الحلول والبدائل.

ومما يذكر أن جميع الدول تسمح بإرسال وشحن كتب المكفوفين عن طريق البريد دون مقابل، كما أن المكتبات التي تتعامل مع هذا النوع من الكتب لا تضع قيوداً على إعارتها من حيث مدة الإعارة أو فرض الغرامات على المتأخرين في ردها اليها. وتعتبر هذه الإجراءات في حد ذاتها أقل ما يمكن أن يقدمه المجتمع الدولي للذين حرموا من نعمة الأبصار.

العِلَاج بالقِرَاءَة

شغل العاملون في مكتبات المستشفيات والمؤسسات العلاجية طويلاً بوضع البرامج التي تستهدف إعادة تأهيل قرائها من المرضى والنزلاء. وقد استخدموا المكتبة ومواردها كوسيلة علاجية، كما قاموا بتطوير أساليب العلاج بالقراءة بغية مساعدة المعنيين في استعادة ثقتهم بأنفسهم وتنمية مهاراتهم في الحياة. حتى الطب النفسي أخذ يعتمد في العلاج على بعض القراءات من روائع الأدب وغيره مما يشتمل على حقائق ومعاني سامية لها أهمية في علاج النفس.

ومع تطور العلوم السلوكية تقدم العلاج بالقراءة كأسلوب مفيد في الصحة العقلية وفي استعادة الثقة بالنفس والقدرة على التحمل وبناء الشخصية. وفيما كان العلاج بالقراءة في الماضي مقصوراً على محيط المستشفى أو المؤسسة العلاجية، فقد تغلغل خلال العقود القليلة الماضية داخل المجتمع وبات يستعان به في المدارس والإصلاحيات وفي كثير من أوضاع الحياة اليومية.

وللعلاج بالقراءة جذور تاريخية موغلة في القدم، فالمكتبات اليونانية منذ نحو ثلاثة آلاف عام كانت تحمل شعار «في القراءة علاج للروح» أو «للنفس»، كما ارتبطت القراءة بالعلاج في كتابات الرومان الذين كانوا ينادون بحث المرضى على القراءة وتبادل الآراء حول أقوال عمالقة الخطابة. وتكاد تتفق الكتابات التاريخية المبكرة على أن الكتب إنما صنعت لأغراض شفائية، ولا سيما في معالجة المضطربين والقلقين عاطفياً.

غير أن العلاج بالقراءة لم يعترف به كواحد من مجالات علوم المكتبات إلا في أوائل القرن العشرين. وظهر المسمى الانجليزي «ببليوثيرابي» لأول مرة في أحد المعاجم الطبية في عام ١٩٤١ باعتبار أنه «استخدم الكتب وقراءتها في علاج أمراض الجهاز العصبي». وبمرور الوقت بدأت الشواهد على أهمية المكتبة ومواردها في مواجهة مشاكل الصحة العقلية في الظهور، وانهمك رجال التربية وعلم النفس والعاملون في مجال الخدمة الاجتماعية في البحث والتقصي. وصدرت التوصيات

باستخدام الكتب للباحثين الاجتماعيين العاملين في حقل الشباب بمن فيهم الجانحين من الأحداث واليافعين، وأجريت الدراسات والتجارب حول الاستفادة من القراءة في توافق الشخصية وحول آثار العلاج بالقراءة على تصرفات تلاميذ المدارس وتوافقهم الاجتماعي، كما وضعت العلاقة بين العجز في القراءة والخلفية القرائية وبين جنوح الأحداث موضع الاختبار.

ولقد تغيرت طرق وأساليب التحليل النفسي أيضاً، واهتم أطباء النفس بأسلوب«الجماعة» في معالجة الاضطرابات العقلية والنفسية بهدف أحداث تغييرات في بناء الشخصية أو تعديل السلوك. وتولى عدد من أمناء المكتبات في الخمسينيات إنشاء برامج للقراءة الجماعية كأحد الدوافع. وارتبطت القراءة العلاجية بالعلاج الجماعي في تخفيف وإصلاح بعض نواحي التخلف في القراءة، كما استخدمت جلسات القراءة الجماعية في علاج ادمان الكحوليات والمخدرات لما لبعض الكتب من تأثير قوي على المدمنين.

وبينما كان العلاج بالقراءة يخطو بطيئاً في التجريب خلال الخمسينيات فإن دائرة تطبيقه أخذت تتسع في العقدين الأخيرين ولم يعد قاصراً على أجواء المستشفيات ومؤسسات العلاج، وشرع العلماء والمتخصصون في تحديد وتحليل مفاهيمه الأساسية. ولاحظ البعض أن الاستعانة بأدب الخيال تؤدي إلى نتائج مماثلة للتحليل النفسي المباشر، فالأدب الذي يمس أعماق أحاسيس الإنسان وآماله ومخاوفه يختلف فقط من حيث الدرجة والمادة عن الحقيقة السيكولوجية التي يعيش فيها القارىء، كما ان التجارب والخبرات التي تشجع عليها القراءة تكافىء في الجوهر والوظيفة المظاهر التي توجد في التحليل النفسي وهي: الشمولية والاندماجية وتصور الأفكار وكأنها حقائق موضوعية والتنفيس ونفاذ البصيرة. ولاحظ العلماء أيضاً أن للقصاص أو الراوي قدرة توجيهية غريبة على الإنسان، فعن طريق الحالات النفسية التي يضعه فيها يصبح قادراً على توجيه تيار عواطفه وانفعالاته، تارة يجذبها في اتجاه معين وتارة يجعلها تتدفق في اتجاه آخر، ويحصل على مختلف التأثيرات والانطباعات من نفس المادة القصصية.

وفي الستينيات أيضاً دخل لفظ «بيليوثيرابي» المعاجم العامة بالانجليزية وعلى رأسها **معجم وبستر العالمي الجديد** الذي أوضح أن العلاج بالقراءة معناه «استخدام مواد قرائية مختارة كعلاج مساعد في الطب وطب النفس»، وذكر أيضاً أنه «التوجيه في حل المشاكل الشخصية من خلال ترشيد القراءة». وظهرت الحاجة إلى متخصص مهني جديد هو «أمين المكتبة الاكلينيكي» الذي يمكن الاستفادة من تدريبه وخبرته في مكتبات المستشفيات والمؤسسات الاجتماعية والتعليمية وفي المكتبات العامة في نفس الوقت.

ولعل من أهم المنجزات في السنوات الأخيرة بهذا الصدد هو فحص وتقييم أدب الأطفال، فقد تكونت لجنة من أمناء المكتبات العاملين في مجال الطفولة للاضطلاع بهذه المهمة، وقامت بتجميع ونشر قوائم بالكتب التي يمكن الانتفاع بها في ظروف خاصة مثل الاسترسال في التخيل تهرباً من الواقع وجنوح الأحداث واضطراب النفس. وقد صممت هذه القوائم بحيث يستخدمها أمين المكتبة والاخصائي الاجتماعي والعامل في اصلاحية الأحداث في تزكية القراءات الصالحة لحل مشاكل الأطفال.

أما عن الاتجاهات الحديثة للعلاج بالقراءة ففي مقدمتها اهتمام أوساط أخرى غير الأطباء وأمناء المكتبات بالاستفادة من القراءة كقوة دافعة على «تهذيب» الإنسان ومساعدته في القيام بوظيفته كفرد في بيئته ومجتمعه على النحو الأمثل. ومن بينها أيضاً الاعتراف بالقراءة العلاجية كأسلوب اتصال ينفع في إسداء النصح، فالاتصال من الشروط الأساسية للحياة، وعند حدوث الاتصال تنشأ علاقة تعتمد على التفاعل بين أطرافها، الأمر الذي يقود الى صياغة وتشكيل الشخصية. وليست الكتب إلا أداة تستعمل في إقامة وسيلة الاتصال وتهيئة المناخ العلاجي اللازم للقبول. ومن الاتجاهات الحديثة كذلك استخدام العلاج بالقراءة في تحليل رغبات القارىء وتزويده بالمواد القرائية التي تناسب هذه الرغبات، فالتحليل يمهد السبيل لمعرفة القدرات الحقيقية الكامنة في الإنسان، وبالتالي فإن القراءة العلاجية عن طريق القراءات المختارة تفسح المجال لتغيير مسار التفكير مما يؤدي الى تغيير في السلوك.

ويظل العلاج بالقراءة بعد كل ذلك في حاجة الى مزيد من الاستكشاف والتحري، فبالرغم من مرور سبعين عاماً على الاعتراف به كفرع من فروع علم المكتبات لا يزال جو من الغموض يكتنف تطبيقه وآثاره الفعلية، ولا يزال البعض ينظر اليه نظرته الى الشعوذة أو العرافة، وفي عيون آخرين لم يزد عن كونه سمة أنيقة من سمات العصر الحديث. ولكن الذي لا ريب فيه هو أن العلاج بالقراءة سوف يواصل نجاحه كوسيلة علاجية سواء تم ذلك على أيدي أمناء المكتبات أو أهل اختصاص آخر.

مَحو الأُمّيَّةِ والمكتَبة

تبدو المكتبات للوهلة الأولى كما لو أنشئت لسد حاجةالانسان للقراءة، ورغم ذلك فالقراءة كمظهر من مظاهر البشري لم تنتج لنا المكتبات، وانما تقام المكتبات لأن وسائل الاتصال الأخرى مقيدة بعامل الوقت، فرسالتها تحلق في الفضاء وتتبخر بمجرد تقديمها للناس. أما أسر تلك الرسالة وتوفيرها للجمهور الذي لا يملك الوقت أو الموارد المالية للقيام بذلك لنفسه، فهذا ما يبرر وجود المكتبات ويدعونا للثقة في استمرار بقائها.

والقراءة هي النشاط الملازم للكتابة، كما ان استخدام لغة رمزية كأداة لنقل الأفكار يفسر تراكم المعلومات بطريقة محكومة لا يمكن لذاكرة الانسان وحدها أن تؤديه. والتاريخ الشفهي قد سبق التاريخ المدون، ولو أنه أقل أصالة وأكثر تعرضا للشكوك حول صحته وشرعيته، فلا غرو إذن في أن إبتكار نظام مكتوب من الرموز حتى يتناسب مع الرمزية الموجودة في اللغة في شكلها المنطوق قد أوجد الحد الفاصل الذي لا لبس فيه بين عصور ما قبل التاريخ وبين أحداث الستة آلاف عام الماضية وهي التي تشكل تاريخ البشرية المسجل.

ومن نافلة القول أن هناك ما يقرب من ٧٠٠ مليون نسمة أو على الأقل ٤٠ ٪ من سكان العالم لا زالوا يعيشون في ظلام الأمية. وفي حين تتجه هذه النسبة نحو التقلص تدريجيا، ما برح عدد الأميين من الكبار في زيادة متصاعدة. وتشير الاحصاءات الى زيادة الأميين في خمس وثمانين دولة من أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية بمعدل عشرين مليونا على الأقل سنويا، ولا ريب أن المسئول الأول هو التضخم السكاني. وفي البعض هذه الدول تتقدم الجهود نحو التغلب على الأمية ببطء، وفي البعض لم تستطع كل أشكال التعليم ملاحقة الزيادة في السكان، مما يجعل المعركة تبدو دوما خاسرة.

فهذه الملايين السبعمائة تعيش على هامش الحياة، أو على حد تعبير أحدى نشرات «يونسكو» : «ان القرن العشرين لا وجود له بالنسبة لثلثي البشرية»، فهؤلاء لا يتمكنون من قراءة أي بيانات أو منشورات، ولا يعرفون كيف يشقون

طريقهم في الحياة، وليس في استطاعتهم معرفة الوقت أو اليوم الذي نحن فيه أو كم يبلغون من العمر، وغالبا ما يقعون ضحايا للغشاشين والمحتالين والبيروقراطيين والانتهازيين.

على أن محو الأمية، أي القدرة على القراءة والكتابة، أصبح ذا أهمية بالغة تتجلى في المساعدات الفنية والمادية التي تتلقاها الدول النامية وفي الجهود المكثفة المضنية التي تبذلها في هذا السبيل. فمن معالم بعض الأمم حيث لا يستشعر المرء طعم التقدم الحضاري الكامل انتشار وزيادة اعداد الأميين، هذا اذا استبعدنا مخاطر الحضارة في المقابل. ومهمة الحكومة تصبح أيسر بين من يعرفون القراءة والكتابة عن أولئك الذين يستحيل مخاطبتهم الا وجها لوجه أو عبر الأحاديث المطولة في الاذاعة والتلفزيون.

ولمحو الأمية نتائج تتوقف على مدى رغبة دولة ما في بذل الوقت والجهد، فاذا كان هدفها الوحيد جعل كافة الكبار قادرين على كتابة أسمائهم وقراءتها فان المكتبات تصبح عديمة النفع باستثناء كونها مستودعات للمعلومات للصفوة المثقفة. أما اذا كان الهدف أكبر من ذلك فان مجرد معرفة قراءة الاسم وكتابته لن تفيد شيئا كما أنها تجعل من التقدم عبئا ثقيلا وعملية شاقة بطيئة. لكن المكتبات تفيد الدول النامية في غرس عادة القراءة في نفوس الناس، ومن هنا فان محو الأمية الفعال يعني قدرة العامة على قراءة الصحف المحلية والمجلات الشعبية والكتب الخفيفة.

ومن المعروف أن الأمية لا يمكن معالجتها كمشكلة في حد ذاتها، ولكن ينبغي أن تكون جزءاً لا يتجزأ من التنمية الاجتماعية. ففي وقت من الأوقات ساد الاعتقاد بأن كل الأطفال متى أجبروا على الذهاب للمدرسة فان المشكلة ستحل تلقائيا خلال جيل واحد على الأكثر. لكن البنيان الاجتماعي ليس بهذه البساطة، كما أن الأحوال الاجتماعية المؤدية الى الأمية هي نفسها التي تحول أحيانا دون وجود التعليم المجاني أو تعتمد على عمالة الأطفال، فهذه هي الحال بالنسبة لأمريكا اللاتينية. هنالك أيضا الهوة المتسعة بين الدول الغنية والدول الفقيرة، والتفاوت الاقتصادي بين البيض والسود كما في الولايات المتحدة. وقد أثمرت جهود «يونسكو» عبر السنين عن

اقتراح أفضل وأنسب الحلول للتغلب على هذه المشكلة، ومع ذلك فيجب أن نتذكر أن هذه الجهود ليست سوى قطرة صغيرة في بحر كبير، أو كما عبر عن ذلك أحدهم بقوله: «ان ميزانية يونسكو السنوية أقل من تكلفة عشر مقاتلات نفاثة من الطراز الحديث».

ويتقدم محو الأمية من مجرد معرفة قراءة الاسم وكتابته الى القراءة الالزامية عندما تصبح القراءة غاية في حد ذاتها بصرف النظر عما وراءها من كسب. والذين يقرأون بالالزام يجدون في القراءة نشاطاً ضرورياً لصالحهم ورفاهيتهم كالمأكل والمشرب والنوم، لكن القراءة مع ذلك لا تزيد العقول سمنة وإنما تجعلها قادرة على الاختيار. والقارى بالالزام يقنع بأي شيء مطبوع لكنه يفضل أحسن ما كتب بلغته وما يزودة بمعلومات يجد فيها متعة واشباعاً. أما الذي يجعل من الفرد قارئاً فلا سبيل إلى معرفته، ولو أن المثقفين والمتعلمين يجدون في القراءة متعة وفائدة ويميل الكتاب والمؤلفون على وجه الخصوص إلى القراءة الإلزامية، وسواء يفعلون ذلك لتطوير أنفسهم أو كوسيلة فرار من عبء الكتابة فهو أمر غير معروف على وجه التحديد.

وقد كتب الدكتور «فرانك تشارلز لوباك» الذي قدم أكثر مما قدمه أي فرد لمحاربة الأمية في عدد كبير من الدول، كتب يقول: «سواء اعتبر محو الأمية خدمة جليلة لحياة الناس أم لا، فان ذلك يتوقف على ما يقرأة هؤلاء بعد محو أميتهم، فنصف المشكلة ينحصر فيما نقدمه لهم للقراءة في فترة الانتقال حين تبدأ حصيلتهم من مفردات اللغة في الزيادة الى الحد الذي يمكنهم من القراءة بسهولة والاستمتاع بما يقرأون». أي أن هناك فجوة بين تعليم القراءة وبين قراءة ما له قيمة باقية، وأنه يجب سد هذه الفجوة بالاستعانة بنصوص متدرجة على النحو المناسب.

ولبرنامج النشر أهمية خاصة في هذا المضمار، فيجب أولا أن تكون قوية وأن يقدم لها العون المناسب للقيام بمهمتها، ثم عليها أن تتولى نشر المطبوعات الخفيفة في شكل نشرات أو كتيبات عن الصحة العامة مثلاً أو الزراعة أو غيرها من الموضوعات لا تدخل عادة ضمن إطار النشر التجاري. ومن الممكن لهذه المواد أن تشتمل على كتب ومجلات للقراءة الترفيهية وبعض الأعمال المترجمة. وسوف تواجه برامج النشر

من هذا النوع بعض المشاكل من حيث التوزيع ، وهو الأمر الذي جعل الناشرين التجاريين يترددون أصلاً في دخول هذا المجال ، كما أنها قد لا تجد النصوص الكافية أو الكتاب المناسبين ، ومع ذلك فهذه عقبات يمكن التغلب عليها .

وتقع الدول النامية غالباً من خطأ تشييد المكتبات فقط للقادرين تماماً على استخدامها . ولا ريب في أنها استجابة واضحة لمطلب ضروري ، إلا أن الحاجة إلى المكتبات وما تحويه من معلومات هي التي تشكل الفرق الجوهري بين مجتمع متطور وآخر أقل تطوراً . فالجهود الرامية إلى تكوين قاعدة من المواطنين المتنورين يجب أن تبدأ بتعليم وظيفة واستخدام موارد المكتبة في وقت مبكر ، ولهذا السبب فإن المكتبات المدرسية هي الشيء الذي لا غنى عنه في المجتمع المتطور ، ولا سيما إذا فهمت الوظيفة التعليمية للمكتبة المدرسية واستغلت بالكامل .

إن ثمار التجارب التي خاضها الكثيرون من أمناء المكتبات والمتخصصين تبشر بالتحول السريع من أمية تعتمد على تبادل المعلومات وجهاً لوجه أو من خلال الإذاعة إلى استنارة وضاءة تستفيد من مصادر المعلومات بشتى أشكالها ، فمحو الأمية يجب أن يرتبط بتوفير مواد القراءة المناسبة وتيسير الحصول عليها ، والمكتبات مطلوبة للحفاظ على هذه المواد وضمان تواجدها . على أن إنشاء مكتبات مدرسية جيدة ومكتبات للأطفال خارج المدرسة هو أضمن السبل لتنمية الرغبة في استغلال موارد المكتبة . ومكتبات المدارس بصفة خاصة عنصر ضروري وهام للمجتمع الذي يعتبر القراءة مهارة مقبولة سائغة يتساوى فيها المبتدىء مع المتخصص خارج حقل إختصاصه .

الثقافة العامّة والمكتبة

ما هي الثقافة العامة؟ وما هي حدودها؟ فكثيراً ما يختلف الناس فيما بينهم حول مفهوم الثقافة العامة وما يدخل في نطاقها، وكثيراً أيضاً ما يدعي البسطاء منهم فهمهم لها، أما الأكثر وضوحاً وشجاعة فيغامرون بذكر مثال أو إثنين مما يقع تحت سماء هذا الفرع من المعرفة، وقليلون جداً رغم ذلك هم الذين يمكنهم بدقة تحديد المساحة التي يفترشها هذا المجال الكبير.

ومن رأي البعض أن الثقافة العامة هي مجموع تجارب الحياة التي يتقاسمها الناس، وهي في العادة لا بالضرورة تلك التي أكتسبوها عن طريق وسائل الاتصال العامة، وأنها تشتمل على الكلمات المنطوقة والمطبوعة والأصوات والصور وكل ما يدرك بالحواس وما هو من صنع الإنسان أو من نتاج براعته. ويزعم هؤلاء أن النموذج العصري للثقافة العامة ليس في العمل الأدبي، وإنما هناك ثقافة جديدة لا صلة لها بالأدب تعيش بيننا اليوم ولا يحس بوجودها إن لم يكن بأهميتها معظم المثقفين ثقافة أدبية. وتشمل هذه الثقافة الجديدة من بين ما تشمله بعض الرسامين والنحاتين والمعماريين والموجهين الإجتماعيين وصانعي الأفلام السينمائية وبرامج التلفزيون وأطباء الأمراض العصبية والموسقيين ومهندسي الالكترونيات والفلاسفة وعلماء النفس والإجتماع.

ويذهب آخرون إلى أن ديقراطية العصر الحديث وثقافة الجماهير وجهان لعملة واحدة، وأن المدلول الحقيقي للثقافة العامة لا يقف عند مجال أو نظام يمكن تحديده، وإنما يكمن في محاولات العثور على أداة جديدة لدراسة وفهم العالم الذي نعيش فيه ونتذوقه. ويقطع أصحاب هذا الرأي بأن أعداد العلماء الذين باتوا يسلمون بأن الثقافة العامة بارومتر ومرآة العالم المحيط بهم في ازدياد مطرد.

وتتميز معظم الدراسات التي تناولت هذا الموضوع إلى وقت قريب بإهتمام بالفروق الجمالية بين فن الصفوة المختارة وبين الفن الشعبي، وبإنشغال في البحث

عن القيمة العلمية للثقافة العامة التي ظلت موضع الشك، وبحساسية مفقودة لمغزاها الإجتماعي.

وقبل بضع سنوات أعد «أ. ك. دورتماند» أحد العلماء الأمريكيين المهتمين بتدريس الثقافة العامة قائمة عشوائية بالموضوعات التي يحتضنها هذا المجال الواسع المتنوع، وفيما يلي بعض ما إشتملت عليه: الجريمة المنظمة ـ صحافة القرن التاسع عشر ـ المجلات العامة ـ السيارة ـ حقوق المرأة ـ عادات الأكل والشرب ـ الرياضة ـ القصص الشعبي ـ أفلام السينما ـ الجنس ـ الموسيقي والغناء الشعبي ـ العنف ـ الهوايات ـ عروض السيرك ـ الرحلات ـ فن العمارة ـ الكاوبوي الأمريكي ـ الأفاقون والمتشردون ـ رسوم الكاريكاتير ـ التعليم العام ـ الحياة الجامعية ـ الفساد السياسي ـ النوادي الإجتماعية ـ الأعياد والمهرجانات الغريبة.

والقائمة كما أوردها صاحبها أطول بكثير مما سبق، وفي الإمكان إضافة موضوعات أخرى إليها بعد القيام بتحليل شامل لمظاهر الثقافة العامة في المجتمع. وجدير بالإشارة إلى أن القائمة قابلة للتعديل والتبديل، فما يناسب مجتمعاً بعينه لا يناسب بالضرورة باقي المجتمعات.

وفيما يتعلق ببناء المجموعات وتقديم الخدمات فإن المكتبات في العالم العربي ظلت ردحاً من الزمن إلى جانب الصفوة المختارة. ولعل السبب في ذلك ميلها السابق إلى محاكاة مكتبات المجتمع الغربي، مجتمع «الاليت» أو النخبة الذي يمدها بالموارد المالية ويؤثر بالتالي في سياساتها. فالمكتبات في الولايات المتحدة وأوربا، وخاصة المكتبات العامة تترأسها مجالس تتألف من «نخبة» المجتمع من مفكرين ورجال أعمال ومهندسين وأطباء وبعض العناصر البارزة، ويقوم أعضاؤها بتقديم العون المادي والأدبي لهذا المكتبات الأمر الذي يشجع على بسط سلطانهم ونفوذهم على مجموعاتها وخدماتها. ولحسن الطالع تخلو مكتباتنا من مثل هذه المجالس، والمواد والخدمات التي تقدمها ليست مقصورة على فئة دون أخرى، أما أن تتصف المكتبات بالسلبية وتوجه إهتمامها إلى قطاعات محددة من الشعب فهذا ما يفقدها أهميتها

كعضو حيوي في المجتمع المعاصر.

ويبرز هنا سؤال تقليدي شغل المهتمين بشؤون المكتبات طويلاً. هذا السؤال هو: هل تركز المكتبة في موادها ونشاطاتها على ما هو «خفيف» يهدف للتسلية في الدرجة الأولى، أم على ما هو «جدي» له طبيعة تعليمية رزينة؟ والحق أن هذه المشكلة ضائعة تائهة بين دروب مجتمع اليوم الذي يتغير بصفة دائمة سواء في درجة تعقده التكنولوجي أو في رصيده من القيم والأعراف وأنماط السلوك. والمكتبات لم تفعل شيئاً يذكر حيال هذا الموقف، فمعظم «الحلول» المقترحة إما براقة لامعة أو مبهمة غير عملية في تحقيق الهدف المنشود، وبالرغم من النجاح الذي أحرزته في الانتشار والوصول بالخدمة إلى كل المواطنين في كل زاوية وركن من هذه الأمة.

إن الحاجة المتزايدة للتوسع في مجموعات الثقافة العامة بالمكتبات يمكن تبريرها من وجهة نظر تعليمية ومن منطلق ترفيهي في نفس الوقت. فبالرغم من وضع المكتبات العامة المستقل عن حجرات الدارسة وسعيها الدائب لخدمة كافة عناصر المجتمع فإن وجودها في الأصل يرتبط بالتربية والتعليم. وسواء نظرنا إليها كجامعة مفتوحة للجميع أو كقوة دينامية تتميز بالتغير المستمر نتيجة تفاعلها مع المجتمع وسط حشد من الأوضاع البيئية، فإن المكتبة العامة لا يزال أمامها الكثير حتى تتعلمه من آلام وآمال وجهود المدرسين والأساتذة في جميع مراحل التعليم وربما لأن المكتبة تأتي دائماً في المرتبة الثانية في المسألة التعليمية نظراً لعدم قدرتها على استنباط فلسفة للتعليم المستمر واضحة المعالم، ولأنها لا تملك إجبار الناس على تعاملهم معها، وليس من صلاحياتها منح الشهادات أو الدرجات العلمية، نظراً لهذه الأسباب فهي مجبرة على تقديم المزيد من الجهود فيما يتعلق بوظيفتها التعليمية.

ومن واجب المكتبات بأنواعها المختلفة الاهتمام باقتناء وحفظ مواد الثقافة العامة، فإجراء البحوث واسترجاع المعلومات من الأنشطة الهامة التي تعتمد على المجموعات الشاملة وجيدة التوازن. ولما كانت المواد التي يمكن اقتناؤها في هذا المجال بالذات كثيرة إلى حد الإعجاز، وبالنظر للمشاكل التي تصاحبها من حيث تحديد قيمة ونفع مادة ما للمجتمع قبل أن يتعذر الحصول عليها إلى الأبد، فإن الحذر

الشديد والموضوعية من الشروط الأساسية في تكوين مجموعات تتمثل فيها الثقافة العامة بصدق.

ولما كان «دورتماند» يركز على تدريس الثقافة العامة فهو يرى أن مادةكهذه يجب أن تكون مشتركة يقوم بتدريسها أساتذة الأدب والفن والإجتماع والمكتبات والتاريخ (مع ملاحظة أنه أستاذ للتاريخ) . والذي ينعم النظر في قائمته المذكورة يكتشف أن العلوم السياسية والإقتصاد وادارة الأعمال والفولكلور وعلم النفس والدراسات النسائية والأنثروبولوجيا والجغرافيا البشرية والدين والصحافة والتربية الرياضية والتغذية وغيرها ، أنها جميعاً تنبثق من قدرة على رؤية الأشياء وفقاً لعلاقاتها الصحيحة أو أهميتها النسبية ، تلك الرؤية التي يمكن أن تستمد من دمج مواد الثقافة العامة في إطارها الإجمالي . ومن هذه الزاوية تلعب المكتبة دورها في اتخاذ الطريق المناسب لتنظيم مجموعاتها بما يساعد على نشر وتقديم مواد الثقافة العامة للجمهور . وقد يتطلب الأمر تعاوناً بين المكتبات فيما يختص باختيار هذه المواد وتنسيق الشراء فيما بينها .

إن القيمة الباقية لمجموعات الثقافة العامة بالمكتبات لا يمكن تجاهلها أو إنكارها ، كما أن التحليل العلمي الدقيق لما يقرأه ويكتبه مجتمع ما لا يقل شأناً أو جدوى ، ذلك إذا أردنا أن نتفهم ميول وأذواق الجماهير وما يؤثر فيها .

المكتبة وسيلة للترويح عن العقول

من بين القراء من لا يسعى الى المكتبة للكسب العقلي وإنما يذهب اليها قاصداً التسلية أو بالأحرى ليدخل السعادة على نفسه . وقد يجد القارىء الكسب العقلي عن طريق القراءات المسلية ، ولكن هذا ليس هدفه الأساسي . وليس من السهل أن نفصل كتب الكسب العقلي عن كتب التسلية ، وأن نجعل من كل منهما صنفاً متميزاً ، إذ أن الغرض من القراءة هو وحده الذي يحدد أي الكتب تنتمي لكل من الصنفين ، وعلى ذلك قد يجد قارىء أفلاطون أن قراءته مملة ثقيلة ربما لاضطراره الى دراسة هذا الفيلسوف ، في حين يسعى قارىء آخر الى كتب أفلاطون شعوراً منه بأنها تبعث المتعة في نفسه .

وهناك كسب أولي يمكن الحصول عليه من قراءة الأدب الخفيف ، ذلك أنه يفسح المجال لتحسين المهارات القرائية . وقد يتم هذا الكسب لا شعورياً وعن غير قصد ، غير أنه لا يسعنا تجاهل قيمة مثل هذه المهارات القرائية إذا قيست الى مساوىء الأمية . لذلك يصبح من واجب المكتبات العامة توفير مثل هذه القراءات السهلة التي تعتبر مساعداً هاماً على تعود القراءة. ومن المهم أيضاً ، خصوصاً بالنسبة للأطفال والصغار ، أن يوجد المجال الواسع من القراءات والآداب الخفيفة التي يستقون منها قراءاتهم المسلية ، حتى إذا ما جاء الوقت للقراءة الجادة لا يشعرون بثقلها ، فعندئذ يكونون قد أصابوا قسطاً كافياً من « ميكانيات » القراءة .

وهناك أيضاً الجدل الذي يثار حول القراءات الخفيفة ، فبينما يرى البعض ضرورة تشجيعها إلا أنهم لا يقرون أن من واجب المكتبة العامة توفيرها للرواد . ولكن علماء المكتبات والتربية والتعليم والإجتماع يجمعون الرأي على أن الدعوة الى التسلية البريئة من أكثر الأمور فائدة للمجتمع ، فالقراءات الخفيفة تسعى الى نفس الهدف الذي من أجله تهتم الحكومات ببناء ميادين اللعب للصغار والحدائق العامة للكبار ، وكما أن توفير الحدائق والميادين يفيد الأجسام فإن توفير القراءات الخفيفة يغذي العقول .

ومن النقد الموجه الى ضرورة توفير المكتبات للقراءات الخفيفة هو أنها لا تفيد من الناحية العلمية ، كما يشكو البعض من أن الكثير من الأدب الخفيف مكتوب بعربية غير فصيحة أو حتى غير سليمة إذا ما قورن بانتاج الأجيال الماضية . ويوافق الجميع على أن الكثير من إنتاج اليوم يفتقر الى الأسلوب البديع واللغة السخية التي تشجع من يقرأها على تحسين قدراته على التحدث أو الكتابة ، وهو أمر يؤسف له حقاً ، ولكن الأمر لا ينتهي عند هذا الحد ، فالكتب لها رسالة هامة حتى لو كانت لغتها على غير ما كتبت به أعمال التراث . وتظهر الشخصيات والمواقف في مثل هذه المؤلفات الحديثة على نحو مألوف للقراء ، وكلما قربت الصلة بين الأدب والقارىء زاد نفعة به ، يزيد على ذلك أن بعد أحاسيس وتصرفات الشخصيات الروائية عن الواقع يقلل ما يمكن أن يجنيه القارىء من ورائها ، وقد صدق الكاتب « تشارلز لام » عندما قال إن الإنسان يبحث عن القراءة اما باعتبارها تأكيداً لتجاربه الشخصية أو للهرب منها ، وليس هناك ما ينطبق على ذلك أكثر من قراءة الأدب الخفيف .

وتسبب قراءة القصص الخيالي مشكلة حين لا يستطيع القارىء التمييز بين الواقع والخيال ، وحين يحاول تصور شخصية غير مرغوبة في أحد الكتب . وقد اتهمت السينما والتلفزيون من قبل كما تتهم الكتب اليوم بأنها من الأسباب القوية لانحراف المراهقين ، غير أنه من الصعب ايجاد البرهان على صحة هذه المزاعم . ففي دراسة قام بها العالم الانجليزي « د. هـ. ستوت » عن الانحراف وأسبابه ، بعد دراسات وتجارب طويلة على مائة مراهق منحرف تتراوح أعمارهم بين ١٥ و١٨ عاماً وكلهم تلاميذ مدرسة معروفة ، اكتشف العالم أن من بينهم ٤٥ مراهقاً ممن يكرهون القراءة ولو أنه لم يلاحظ هذا الكره على الباقين ، ويستفاد من ذلك بأن القراءة لم تكن الدافع على انحراف هؤلاء الصبية ، وإنما دوافع أخرى كالقلق والبحث عن المغامرة وغير ذلك ، ولو أن هؤلاء الفتيان قد جنبوا القلق منذ حداثتهم ووجهوا الى استغلال بعض نشاطهم في القراءة لربما أصبحت حياتهم مختلفة ، بالرغم من أن لكل قاعدة شواذ .

وثمة جدل آخر حول تقديم المكتبات العامة الأدب الخفيف لقرائها ، اذ يتهمها

البعض بأنها تفعل في القراء فعل « المخدر » وأن الكثيرين منهم مصـابون « بالإدمان » ، والمشكلة هنا هي الوصول الى نوع « المهدىء » أو العلاج المطلوب . ولكن دعنا نتساءل : هل تتسبب المكتبة بالفعل في ايجاد هذا التوتر أم أنها تسهم ولو بقسط متواضع في تهدئة عقول الناس ؟ ان المكتبة ـ والحق يقال ـ بريئة من هذا الاتهام ، بل أن التوتر والقلق في عصرنا هذا نتيجة الاجهاد والسرعة في انجاز الأمور .

ولا يقتصر جانب الترفيه في القراءة على القصص وحده ، فهناك أنواع أخرى من الكتابة تبعث في قرائها النشوة وهي بعيدة كل البعد عن مقومات القصة من الحبكة أو الموضوع كالكتابات التي تمتاز بجمال التعبير وحسن اختيار الألفاظ وعذوبة الايقاع ومنها الشعر ، فمثل هذه الكتابات تغذي الروح وتقوم الخلق وتنشط الأذهان .

ويؤكد الباحثون على ضرورة حصول الإنسان على ما يشغله ، كالوظيفة مثلاً ، لأن الفراغ يجمد العقل ويجعله ضحية للعادات الشريرة يساعده في ذلك الخيال الذي لا يعرف حدوداً في بعض الأحيان . ولهذا السبب تعنى المكتبات بتوفير الآداب الخفيفة . وهناك من الناس من لا يتمكنون بحكم ظروفهم من قراءة الكتب الجادة كبعض المسنين ، فبينما يقوى البعض منهم على الاستمرار في دراساتهم وهواياتهم ونواحي أخرى للنشاط الذي كانوا يبذلونه في سنواتهم المبكرة الا أن عدداً هائلاً منهم يضطر الى قصر هذا النشاط على القراءة المسلية الخفيفة . وواجب المكتبات نحو هؤلاء الذين لا يقدرون اليوم على الاستمتاع بمسليات شبابهم ، أو حتى نحو أولئك الممنوعين من مغادرة منازلهم ـ بأمر الطبيب مثلاً ـ هو توفير الأعداد الكافية من كتب الترويح عن العقل .

«البُوكتريَا» أو مَكتَبَة السّوبرمَاركت

« البوكتريا» هي مكتبة صغيرة تحتل موقعاً استراتيجياً من المدينة ، أي مدينة ، ولا تحتاج إدارتها الى تكاليف باهظة إذ أنها تعتمد على ثقتها في الأفراد والرواد الذين يقومون فيها بخدمة أنفسهم . وقد ذكرت مرة مجلة « نيوزويك» الأميركية بالحرف الواحد : « واليوم تستطيع ربة البيت في مدينة (ناشفيل) أن تلتقط الكتب التي ترغبها من رفوف نفس محل الأغذية الذي اعتادت أن تشتري منه اللحم والبطاطس» .

والواقع أنه لليوم لم تنتشر « البوكتريا » انتشارا ملحوظاً ، فلا يوجد منها سوى عدد قليل من الولايات المتحدة ، ولو أن الاعتقاد السائد هناك أن الفكرة ستلقى نجاحاً على مرور السنين ، وأنه سوف يأتي اليوم الذي تعم فيه « البوكتريا» أرجاء المدن والقرى داخل الولايات المتحدة وخارجها .

وترجع فكرة « البوكتريا» الى ما بعد الحرب العالمية الثانية على الأقل ، فهناك في أدب المكتبات الأميركي إشارة الى « بوكتريا » افتتحت في عام **١٩٤٦** بمدينة (لنكولن) بولاية (نبراسكا) . وفي عام **١٩٥٣** افتتحت في مدينة (ناشفيل) بولاية (تينسى) ثلاث منها دفعة واحدة في محال الأغذية، ومن ثم بدأ ظهور « البوكتريات» يتوالى في مدن أخرى وكان الدافع القوي لانشائها عدم وجود مكتبات فرعية تستطيع أن تضع الكتب في متناول السكان المقيمين بأطراف المدن أو ضواحيها .

وقد واجه المسئولون في (ناشفيل) مشكلة تقريب الكتب من سكان المدينة الضخمة المتزايدة في النمو ، ولم يكن لديهم في ذلك الوقت المال الكافي لبناء فروع للمكتبة العامة بالمدينة ولا حتى لاستئجار بناء مؤقت . وكان الحل الوحيد لهذه المشكلة هو تكوين مجموعات من الكتب ووضعها في المحال التي تكثر بها الحركة ، ويسهل فيها الاشراف والمراقبة ، وتقل فيها تكاليف الايجار والاضاءة والموظفين .

وبدت محلات الأغذية الكبيرة « السوبر ماركت » مواقع مثلى لهذه المكتبات أو المجموعات الصغيرة ، فهذه المحلات مفتوحة لأطول ساعات ممكنة ويتردد عليها بالضرورة أناس كثيرون ، كما أن مواقعها غالبا ما تكون بالقرب من مناطق الحركة والنشاط ، وادارتها كما هو معروف من نوع « اخدم نفسك بنفسك» ، ولهذه المحلات ميزة أخرى قلما تتوفر في المكتبات عموماً، وهي قدرتها الفائقة على المراقبة عند مواقع خروج الزبائن . ومن ناحية أخرى تستطيع هذه المحلات أن تستفيد من وجود « البوكتريا» بها ، فهي دون شك سوف تجتذب زوارا أكثر ، وبهذا يزداد نشاطها التجاري .

وفي أول عهدها بدت علامات عدم الارتياح على وجوه أصحاب محال الأغذية ، ولكن سرعان ما حققت الفكرة الغرض المنشود منها بالنسبة اليهم ، فاغتبطوا بها ، وأصبح الكثيرون من أصحاب محال الأغذية يتنافسون على اقامة « البوكتريا» بمتاجرهم ، وليس أدل على ذلك من أن أحد أصحاب هذه المحلات وفق في أن يجتذب ٩٠ بالمئة من رواد « البوكتريا» لشراء أطعمة وغيرها من مستلزمات المنزل ، علما بأن أسعارها لم تكن منافسة لأسعار محلات الأغذية المجاورة .

ولا تحتاج « البوكتريا» الى مساحة كبيرة ، فمجموع الكتب بها لا يتخطى الألف الا نادراً ، بالاضافة إلى ما يكون منها في التداول . وهي مصنوعة من ثلاثة رفوف خشبية أفقية ورف سفلي مغلق الا من فتحة ضيقة وذلك للكتب المعادة . وهي في الطول تبلغ من عشرين الى ثلاثين قدماً ، ولا يزيد إرتفاعها عن سبعة أقدام .

ولاستعارة كتب « البوكتريا» لا يحتاج الأمر إلا إلى بطاقة تسجيل ، وهي مزودة بعدد كبير منها . وبعد أن يملأ المستعير بطاقة التسجيل يلقيها في صندوق مجاور معد لإرسال هذه البطاقات إلى المكتبة الرئيسية بالمدينة . ولا يمر يومان حتى يتسلم المستعير تذكرة الاستعارة مرسلة بالبريد على عنوان اقامته يصحبها خطاب من أمين المكتبة يرحب به كعضو جديد في أسرة المكتبة ، ويشرح له كيفية استخدام « البوكتريا » . وللمستعير الحق في استعارة ثلاثة كتب في وقت واحد لمدة أسبوعين . وبداخل جيب كل كتاب توجد بطاقة تحمل اسم المؤلف وعنوان الكتاب ورقمه ،

وما على المستعير إلا أن يملأ هذه البطاقة مبيناً اسمه ورقم تذكرة استعارته ، وأن يضع بدلاً منها في جيب الكتاب بطاقة أخرى جاهزة موضحاً بها تاريخ استحقاق الكتاب ، أما بطاقة جيب الكتاب الأصلية فتلقى في صندوق جانبي معد لهذا الغرض .

وعند اعادة الكتاب ليس على المستعير إلا أن يلقيه من الفتحة الموجودة بالرف السفلي المغلق . واذا تأخر استحقاق الكتاب وجب على المستعير أن يحسب الغرامة المالية بنفسه ، وأن يضع مبلغ الغرامة في صندوق صغير معد أيضاً لهذا الغرض . وليست هناك وسيلة لتجديد إستعارة الكتب ، وذلك لعدم وجود موظفين للقيام بهذه العملية .

ويزور « البوكتريا» كل صباح موظف يمثل المكتبة الرئيسية بالمدينة ليضع الكتب المعادة في مكانها على الرفوف ، وليتسلم باطاقات التسجيل الجديدة ، وليختم بطاقات الاستحقاق بتاريخ الاستحقاق .

وتكاليف اقامة « البوكتريا » ليست باهظة فهي لاتتعدى ايجار المساحة المخصصة لها بمتاجر الأغذية ، وتكاليف شراء الكتب والبطاقات المختلفة . أما تكاليف الخدمة فلا تزيد عن راتب الموظف الذي يتردد على جميع « بوكتريات » المدينة يومياً .

المكتبة العائمة وقطار الثقافة

يشتهر ساحل النرويج بالوعورة والخشونة وبأن مياه المحيط تغور فيه أحياناً الى مسافات بعيدة مما تجعل وسائل الانتقال بين سكان هذه المناطق الساحلية غير ميسورة ، فالخلجان الطويلة التي تشق الساحل لمسافة مائة ميل أو أكثر تجاه الداخل أدت الى تفتيته الى آلاف الجزر والصخور التي تتعرض بصفة دائمة لضربات الأمواج الثقيلة ، ولم تقف الطبيعة القاسية عند هذا الحد بل شيدت جبالاً وأخاديد شاهقة داخل البلاد . لذلك كان شق الطرق في دولة كهذه أمراً شاقاً بل يكاد يكون مستحيلاً للنفقات الباهظة التي يتطلبها ، ومن ثم كان من الطبيعي أن يعتمد أهالي تلك المناطق في انتقالاتهم على القوارب ، وكانت آخر صيحة في مجال الخدمة المكتبية بالنرويج هي المكتبة العائمة .

وقد قامت المكتبة المركزية في (برجن) بإنزال أول مكتبة عائمة في شهر أيلول (سبتمبر) من عام ١٩٥٩ ، وأطلقت على قارب الكتب اسم « عبد الله » ! ورسمت له طريقاً يتيح له الوقوف بأكثر من مائة وخمسين نقطة اختيرت بعناية كي تمثل أغلب المراكز البلدية المنتشرة على طول ساحل النرويج . ويقوم « عبد الله » برحلتين كل عام ، ويقضي في كل رحلة أربعة أسابيع أو أكثر وفقاً لما تقتضيه الظروف .

وحمل « عبد الله » في إبحاره الأول مجموعة أساسية من سبعة آلاف مجلد ، نصفها في صناديق يحوي كل منها من ثلاثين الى ستين مجلداً ، والنصف الآخر على رفوف مفتوحة في قاعة صغيرة خصصت للقراءة . ولكي تسير الخدمة سيرها الطبيعي فقد عين كل مجلس من مجالس البلديات التي يمر بها القارب موظفاً لاستقباله في كل مرة وإنزال صناديق الكتب الى الشاطىء والقيام بعمل الأمين في إعارة الكتب .

والهدف الأول من قارب الكتب كما رسمته مكتبة (برجن) المركزية هو

الوصول بالكتب الى أهالي المناطق النائية الذين لا تسنح لهم الفرصة لزيارة المكتبة المركزية . وقد تبين للمكتبة نجاح التجربة عندما لاحظت إقبالاً شديداً على قارب الكتب ، الأمر الذي شجعها على زيادة حمولة القارب من الكتب وتجديد المجموعة في كل رحلة .

هذا ويعتبر قارب الكتب في النرويج وسيلة جديدة من وسائل نشر الوعي المكتبي ، إذ قرر قسم الإعارة في مكتبة (برجن) أن مجموع ما أعاره عن طريق البريد وحده قد بلغ ثلاثة أضعاف ما كان يعيره من قبل .

وإذا كان قارب الكتب يمثل ما قدمته النرويج في مجال الخدمة المكتبية المتنقلة ، فإن قطارَ الثقافة يعتبر لوناً آخر من ألوان نشر الوعي المكتبي بين فئات محددة من المواطنين في فرنسا . ففي أحد أيام شهر نيسان (ابريل) من عام ١٩٥٧ قام قسم المكتبات التابع لهيئة السكك الحديدية الفرنسية بتسيير قطار خاص من قاطرة وعربة واحدة بها مكتبة كاملة ، أطلق عليه « القطار الثقافي » أو « مكتبة القطار » ، وقد روعي في تسيير هذا القطار أن يعمل تحت ظروف خاصة حتى لا يعوق القطارات الأخرى ، ولهذا فقد زود بأجهزة تساعده على العمل مستقلاً تمام الاستقلال طوال جولته التي قطع فيها ١٥٠٠ ميل في ثلاثة وثلاثين يوماً ، وحتى لا يضطر الى العودة الى نقطة البداية .

ويرى الداخل الى عربة القطار أول ما يرى بهواً صغيراً علقت على أحد جدرانه لوحة صغيرة بها نموذج مصغر لقطار الثقافة ، وبعض التعليمات الخاصة باستخدام المكتبة ، وطريق سير القطار ، وجدول مبين به مواعيد الوصول والقيام . ثم يتقدم الداخل من هذا البهو إلى قاعة المطالعة وطولها حوالي عشرة أمتار . وقد زودت القاعة برفوف حائطية مصنوعة من الخشب ومنحدرة قليلاً الى الخلف حتى تحول دون سقوط الكتب أثناء سير القطار . وتستطيع هذه الرفوف أن تحمل قرابة سبعة آلاف مجلد ، كما زودت القاعة في الوسط بثلاث مناضد مستديرة مثبتة الى أرض القاعة وتناثرت حول كل منها أربعة مقاعد مريحة . أما الفهرس فموضوع في أدراج بجوار مكتب الأمين في أقصى القاعة . ويضيف لون السجاد الأخضر وهو مصنوع من

المطاط ويغطي كل ركن من أركان القاعة مع لون الرفوف البني الغامق جواً يبعث على الإرتياح . وقد جهزت القاعة بثلاث نوافذ على كل من الجانبين بالإضافة الى أضواء « الفلورسنت » التي يمكن استخدامها ليلاً أو نهاراً عند مرور القطار في مناطق مظلمة . وفي نهاية العربة توجد غرفة صغيرة لتخزين الكتب وغرفة أخرى بها مطبخ ودورة للمياه . وليس هذا كل شي ء ، فهناك أيضاً أجهزة للتدفئة والتبريد وثلاجة وراديو وهاتف .

بهذا كله يستطيع القطار أن يؤدي خدمة مكتبية لأكثر من عشرين ألف فرد من العاملين بالسكك الحديدية وعائلاتهم يقيمون في ستة وعشرين مركزاً على طول الطريق .

ويتألف رصيد المكتبة من كتب للكبار وكتب للأطفال ، وفيه القصص وغير القصص ، وهناك من معظم الكتب نسختان الى عشر ، وقد روعى في اختيارها جميعاً أذواق القراء ومطالبهم . وضماناً لحسن الإختيار في المستقبل زودت القاعة بدفتر للمقترحات ، كما يطلب من القراء إبداء رأيهم فيما يقرأونه من كتب .

وليست جميع الكتب للإعارة ، فالمجموعة تضم عدداً لا بأس به من كتب المراجع كالمعاجم ودوائر المعارف و « ألبومات » الصور وغيرها ، وحوالي عشرين دورية في الأدب والفن والتاريخ والمواصلات . ولا يتقاضى قطار الثقافة أجراً لقاء خدماته ، وإنما في استطاعة كل قارىء إما إستعارة الكتب أثناء وقوف القطار أو استعارتها على أن يعيدها لمكتبة القطار في جولته التالية .

أحاديث الكتب

في الخدمة المكتبية يبدأ العمل وينتهي غالباً مع القارىء الفرد . وإذا كانت المكتبات ترحب بخدمة الجماعات فإنما تفعل ذلك كوسيلة للوصول الى المزيد من الأفراد . وهي تستجيب لمطالب الجماعة لكنها تدرك أن استجابتها يجب أن تتكيف مع القدرات المختلفة لأعضائها من الأفراد . ومن الوسائل الناجحة الفعالة للوصول الى الأفراد وبخاصة الشباب وجذبهم الى حب الكتب تأتي الأحاديث والمحاضرات التي تلقى عن الكتب أمام جماعات المستمعين في المقام الأول .

والدراية الكاملة المسبقة بجماعة المستمعين مطلب ضروري ، وأقصد بذلك التعرف على أعمارهم وجنسهم واهتماماتهم ووظائفهم ومستواهم الثقافي . ولا يحتاج الأمر بعد ذلك إلا الى ايجاد الكتب التي تعكس رغباتهم وتشد اهتمامهم والتي تلقى في ذات الوقت قبولاً وتحمساً من جانب المتحدث نفسه ، ثم استنباط أفضل السبل لتقديم وعرض هذه الكتب في أوقات محددة . وليس من الضروري أن تكون الكتب موضوع الأحاديث جديدة أو حديثة الصدور ، ولكن من الحكمة أن يحقن المتحدث كلامه ببعض الملاحظات عن كتب قديمة ذائعة ، إذ أنها تشيع جواً من الألفة والاعتياد . ولا هو من الضروري أن تكون الكتب صعبة تحتاج الى مقدمات وشروح مطولة ، إنما المهم أن تكون بمثابة « الطعم » الذي يستدرجهم للإحساس العميق بالرغبة في الكشف عن أمور تستهويهم أو تلفت انتباههم .

وعندما ينظر بعض أمناء المكتبات الى رفوف مكتباتهم ليلاحظوا الكتب « جليسة الرفوف » أي التي لم تغادرها قط للقراءة أو الإستعارة ينتابهم اغراء شديد في جمع ما يملأ الذراع أو الذراعين والتوجه بها الى جماعة من القراء لكي يحدثونهم عنها . وقد يكون هذا عملاً مفيداً إذا كان المتحدث يعرف هذه الجماعة معرفة تامة ، وإذا كان يلتقي بأفرادها كثيراً وكانوا هم يثقون في أحكامه وآرائه . لكن الفرص العظيمة التي تتيحها أحاديث الكتب لا تستهدف في العادة إخلاء الرفوف من الكتب بقدر الكشف عن اهتمامات الأفراد وأذواقهم وتطلعاتهم القرائية .

وربما كان من الفطنة أن يبدأ المتحدث بالكلام عن المسائل المحلية أو العاجلة أو المعاصر لكي يبدد أي انطباع لدى المستمعين بأن الإنسان الذي يعمل في مجال الكتب لا يفقه من أمور العالم المحيط به شيئاً . ولا تساعده في ذلك متابعة الأخبار والأحداث الجارية فحسب وإنما البرامج الإذاعية والتلفزيونية أيضاً ، فهي تستطيع إمداده بفقرات افتتاحية ملائمة . ومن هنا عليه أن ينتقل بسرعة الى الكتاب الذي جاء للتحدث عنه اما بطريق عرضي أو بربطه بأحداث معينة . وليكن حديثه حيوياً ممتعاً ينقل الى النفس احساساً بأن المتحدث إنما جاء لكي ينجز مهمة طيبة ، ولتكن للحديث نكهة خاصة تشعر السامعين بأن اختيار ذلك الكتاب بالذات دون سائر الكتب لم يكن أمراً مفتعلاً وإنما لأسباب قوية واضحة .

ويقع بعض المتحدثين أحياناً في خطأ جسيم عندما تعجبهم سيرة أو ترجمة حياة أحد الأشخاص ، فيقومون بإعطاء حقائق مجردة عن حياة الرجل وملخصاً شاملاً لمنجزاته في حديثهم عن الكتاب . وقد تكون السيرة واضحة في أذهان العديد من المستمعين وأحداثها تعيش في مخيلتهم ، وقد يغنيهم عن حضور المحاضرة أو الحديث مقال يقرأونه في موسوعة أو معجم للتراجم ، لذلك فإن أحاديث التراجم ليست سهلة كما قد يتصور البعض ، بالإضافة الى أن الكثيرين من المتحدثين يخفقون في نقل مغزاها وسحرها الى السامعين .

على أن أحاديث الكتب تقع في مكان يتوسط رواية القصص والتعريف بالكتب ، ولها صفات مأخوذة من كل منهما لكنها تختلف عن كليهما . وفي أحسن صورها تبدو الأحاديث غير رسمية وتلقائية وفي توافق مع مشاعر وأذواق المستمعين ، كما لو كانت محادثة أو مناقشة أكثر منها حديثاً من جانب واحد . ورغم ذلك فخلف هذه التلقائية والعفوية الظاهرة يقف اعداد مدروس وتنظيم دقيق لمادة الأحاديث .

وحرى بالمتحدث، أن يتأمل الجماعة التي يخاطبها وأن يضع نفسه في موضع الحاضرين وأن يتخيل نفسه جالساً بينهم وأن يرهف السمع الى الذي يتحدث أمامه ، فما الذي يريد أن يستمع اليه ؟ كيف يود أن يوجه الكلام اليه ؟ الى متى

يستطيع أن يجلس ساكناً ليستمع ؟ بعد ذلك هناك موارده ، فهو يمتلك عالم الكتب برمته ليختار من بينه ، اذن عليه أن يختار بعناية ذلك الكتاب الذي سوف يتحدث عنه ، وأن ينشط ذاكرته لفهمه ودراسته . ومن المسلم به أنه يأمل في أن يقرأه المستمعون ، اذن عليه أن يبرهن ببساطة من خلال العرض أن الكتاب يستحق القراءة . ولا جدوى من وراء القول بأن الكتاب مثير أو مشوق ، فمن الواضح أن الجمهور ما جاء لكي يستمع الى غير ذلك . إنهم فقط ينتظرون بينة أو دليلاً على اثارته وتشويقه . لذلك يجب أن يمضي الأداء في سلاسة ، كما يجب عدم الإستمرار في سرد التفصيلات أو حشو ذهن المستمع بالعديد من الشخصيات فيستعصى عليه تتبع الأحداث أو الأفكار . ويجب على المتحدث أيضاً أن يجعل الحقائق دائماً في متناول يديه وأن يعرف كيف يكبح جماحها في الوقت المناسب ، وعليه أن يمضي في حديثه حتى لحظة الذروة أو الترقب . . وهنا فقط يتوقف برهة تكفي لأن يتحرر المستمعون من سلطان الكتاب ، ومن ثم ينتقل المتحدث الى نقطة أخرى أو كتاب آخر على صلة بالكتاب الأول أو يتميز بإختلافه عنه تماماً .

ويتعين على المتحدث أن يراقب سامعيه أثناء الحديث ، وأن يبحث عما يجذب كل واحد منهم اليه . وجدير بالذكر أن طريقته الودية في مخاطبة الناس واخلاصه في اثارة اهتمامهم وفهمه لما يقول واظهار احترامه لآرائهم ، كل ذلك سوف يجعل من السهل عليهم أن يلتمسوا لقاءه بعد المحاضرة وأن يسألوه بعض الأسئلة . وعلى المتحدث أن يجعل صوته مسموعاً للجميع وأن لا يقصر تعليقاته على الجالسين في الصف أو الصفين الأولين ، كما ينبغي أن يأخذ الحذر في القائه من حيث سلامة النحو والصرف والبناء اللغوي وأن يحتاط أيضاً في اعتدال وقفته . وغني عن القول أنه لن يستخدم أي مذكرات لأن الكتب التي سوف يتحدث عنها ستكون بين يديه أثناء الحديث كما للحاضرين الحصول عليها من المكتبة فيما بعد .

وإذا كان حديث الكتب يتناول قصة أو سيرة فالواجب إظهار الشخصيات بصورة حية وجعلها تمشي وتدور وتخرج من الكتب الى نفوس المستمعين مباشرة . ومن الواجب أيضاً اعطاء صور وصفية سريعة لها حتى يمكن تمييزها والتعرف عليها ،

كما يفضل ضرب أمثلة واقعية لأفعال أصحابها ومنجزاتهم وتجنب اطلاق أحكام عامة عن سلوكهم أو تصرفاتهم ، والإبتعاد عن الزخرف الممجوج المبالغ فيه مهما بلغ حماس المتحدث ، فالأفضل أن نخسر بعض القراء من أن نخيب آمال الجميع من خلال الإسراف في الحماس .

وقد يشعر بعض المتحدثين بأنهم لكي يكونوا أمناء نحو الكتاب عليهم أن يقرأوا للحاضرين بعض أجزائه ، وهذا أمر لا يجوز أن يحدث إلا في حالة واحدة فقط ، هي عندما يكون أسلوب المؤلف أهم ما يميز الكتاب وبحيث يستحيل ايصاله اليهم عن غير هذا الطريق . مثال ذلك الشعر والمقالات الأدبية والكتابات البيانية المنمقة بصفة عامة ، وحتى هنا يفضل الإستشهاد ببعض السطور أو الأبيات عن القراءة من الكتاب ، فعيون المتحدث لا بد أن تطوف وتجول حول السامعين وتراقب أي اشارة أو ايماءة بفقدان المتعة أو اللامبالاة .

أما إذا كان الكتاب موضوع الحديث من كتب الحقائق أو العلوم التطبيقية فعلى المتحدث أن يتأكد من دقة استخدامه للمصطلحات وأن يتمكن من تداولها ببراعة ، وعليه كذلك أن يجتهد في سبيل اظهار الوقائع المحددة بطريقة شيقة .

ومن المهم أن يعلم المتحدث سلفاً الزمن المخصص لحديثه حتى يلتزم به . والإعداد المسبق للحديث في شكل موجز أو خلال إطار محدد يفيد كثيراً ، كما أن مراقبة الوقت عامل هام حتى لا يضطر المتحدث الى بتر الحديث بحدة أو التعجيل بإنهائه . وليتذكر دائماً أن المستمعين لن ينتابهم القلق أو الملل طالما كان المتحدث مرتاحاً هادىء النفس . وليعلم أن التوقف عن الاسترسال أفضل بكثير من أن يضعف اهتمام سامعيه أو يتلاشى .

إن أحاديث الكتب تعتبر من صميم الدعوة للمكتبة ، وإذا كان هناك بعض الشك في أذهان عدد من أمناء المكتبات حول جدوى هذه الأحاديث فإن المكتبات التي قدمتها ولا تزال تقدمها قد اجتذبت بالفعل أعداداً كبيرة من القراء مما يبشر بنجاح هذه الأحاديث في الربط بين الاستماع والقراءة .

الخِدمَة المكتبيّة تدخل المُستشفى[1]

مما يبعث الأسى في النفس أحيانا أنه لا بد لنا معشر البشر من أن نفقد شيئاً أو نحرم من شيء قبل أن ندرك قيمته وأهميته بالنسبة لنا . فعلى الرغم من أن الخدمة المكتبة متاحة للجميع في كل الأوقات وبلا مقابل ، إلا أن الكثيرين منا يتجاهلونها إلى أن يحدث تغيير ما في أحوالهم الخاصة يجعل استخدام المكتبة مسألة مشوقة جذابة . ومن بين تلك الأحوال المتغيرة وقوع حادث أو مرض ـ لا قدر الله ـ يقيد المصاب أو المريض إلى منزله أو الى سرير في أحد المستشفيات . ففي مثل هذه الظروف تصبح القراءة ذات أهمية قصوى لناس كثيرين ، بل من الناس من لم يتذوقوا القراءة أو يستشعروا لها طعما الا وهم على فراش المرض .

وغالباً ما يغتنم المرضى والملازمون بيوتهم الفرصة ، فالقراءة بالنسبة لهم تحرر من السأم ودعامة ضد تقلبات الحياة وحافز على الاتصال بالعالم الخارجي . وليس من السهل تصور جماعة من الناس أجدر بالرعاية المكتبية من نزلاء المستشفيات ، أو التفكير في نشاط يستحق العناء المبذول من نزلاء المستشفيات ، أو التفكير في نشاط يستحق العناء المبذول في سبيله مثل خدمة المستشفيات . ومع ذلك فقد ظلت الخدمات المكتبية للمستشفيات في العالم كله بطيئة النمو ، سواء في الكم أو الكيف ، بالمقارنة مع فروع أخرى للنشاط المكتبي . وكيف نتوقع لها النمو والازدهار ونحن نعلم أن هذه الخدمات ظلت طويلا ولا تزال تخضع لنفوذ المؤسسات الخيرية ؟ ففي بلد مثل بريطانيا استمرت منظمة الصليب الأحمر المصدر الرئيسي في إمداد المستشفيات بالخدمة المكتبية على مدى خمسين عاما . وفي البلاد الأخرى مثل سويسرا وبلجيكا لا زالت الخدمة في أيدي المتطوعين من الأفراد والهيئات . حتى في الولايات المتحدة لم تتحرر خدمات المكتبات للمستشفيات تماما من قبضة المؤسسات الخيرية . وهناك فارق كبير بالطبع بين خدمة تقوم على أيادي المتطوعين وأخرى يديرها ويتولاها أناس مؤهلون أكفاء .

وينقسم الرأي عادة فيما يختص بخدمات المكتبات للمستشفيات ، فمن

الواضح أنها خدمة تؤدي للناس داخل المستشفيات ، لكن قد يسأل سائل : أي ناس؟ هل المقصود بهم المرضى ؟ وأي نوع من المرضى ؟ هل يقصد بهم الموظفون ؟ وأي نوع من الموظفين ؟ فالمعروف أن أي مستشفى لديه مرضى لآجال طويلة ومرضى لآجال قصيرة ، هناك الشباب وهناك كبار السن أيضاً ، هناك من يستطيع التجول ومن هو طريح الفراش ، فيه القابل للمعالجة والشفاء وغير القابل . وحتى جهاز الموظفين من الأطباء فيه المبتدىء وفيه المتخصص ، ثم لا تنسى هيئة التمريض وذلك الصف العريض من الأخصائيين الإجتماعيين والنفسانيين وغيرهم ممن يعملون في الوظائف الادارية أو الفنية أو الكتابية أو اليدوية . وعلى أي حال فان طابع عام وترفيهي في الوقت ذاته لجميع المرضى والموظفين وتستبعد منها بداهة الكتب الدراسية والدوريات العلمية الطبية فهذه نجدها في المكتبات المتخصصة في الطب أو التمريض.

وثم نوعان من الخدمات في الولايات المتحدة كما في غيرها ، أحدهما للمرضى والآخر للعاملين بالمستشفيات . وفي أحوال كثيرة تتألف الخدمة المكتبية من ناقلة كتب واحدة أو أكثر داخل أجنحة وأقسام المستشفى ، وفي الحالات القليلة جدا نجد بالاضافة إلى ناقلات الكتب قاعة مكتبة مزودة بمكان فسيح للمطالعة ومساحة أخرى للعاملين بها ومكتب خدمة لارشاد ومساعدة القراء . وتتجه معظم الأنظمة المكتبية داخل المستشفيات الى دمج خدم المرضى مع خدمة الأطباء والممرضين وباقي الموظفين ، وعدم الفصل بين الفئات المتواجدة بها ، وذلك لأسباب اقتصادية في أغلب الأحوال .

ولا يجب أن نغفل دور المكتبات العامة في خدمة المستشفيات ، فقد جرى العرف على أن تقدم المكتبة العامة التسهيلات اللازمة مثل مجموعة الكتب والمكتبيين بينما تقوم سلطات المستشفى بتجهيز المكان الملائم والأثاث والأدوات والأجهزة كما تقوم بدفع رواتب العاملين بها . أما إذا اقتصرت الخدمة على مجموعة من الكتب والمرور بالناقلات على أجنحة المستشفى فقط فإن المستشفى لا يتكفل بأي نفقات . ومن المألوف في بلد كالولايات المتحدة أن نجد مستشفيات توفر الخدمة المكتبية كاملة

على نفقتها الخاصة ، مثل المستشفى العالمي « مايو كلينيك» في مدينة (روتشستر) بولاية (مينسوتا) ومستشفى الأطفال التذكاري في مدينة (شيكاجو) ، في حين يعتمد البعض اعتماداً كلياً على خدمات المكتبة العامة تحت ما يسمى إعادة تأهيل وترفيه وتعليم المرضى والمعوقين باعتبارها إمتداداً لخدماتها ، كما هو الحال في مستشفيات (كليفولاند) بولاية (أوهايو) .

والآن من هم قراء مكتبات المستشفيات ؟ إنهم بالدرجة الأولى المرضى الذين يؤلفون قطاعاً لا بأس به في أي مجتمع وتتمثل فيهم مختلف الأعمار والمستويات الاجتماعية والثقافية والتعليمية ، كما تتمثل فيهم مختلف الرغبات والأذواق القرائية . ومجتمع المرضى يشتمل على أفراد لا يقرأون ، اما لمرضهم أو لعدم قدرتهم على القراءة أو لأنهم لا يجدون فيها متعة كافية . وسوف نجد في هذا المجتمع أيضاً من لا يهتمون أصلا بالكتب لكنهم يكتشفون خلال فترة بقائهم بالمستشفى مباهج القراءة وفوائدها . وهم جميعاً يمرون بتجربة جديدة ويمارسون نوعاً من فقدان الحس بالزمان والمكان ، بل ينتابهم أحياناً القلق والتوتر ، يأتي بعد ذلك الأطباء والاخصائيون والممرضون والمساعدون الفنيون ، فهؤلاء جميعاً قد يحتاجون لاستخدام المكتبة وينبغي تشجيعهم على ذلك . ومكتبة المستشفى مفتوحة للجميع وعلى أرضها يتعارف الناس ويتناقشون في شتى الأمور المتعلقة بالكتب ، ولهذا فان رصيد المكتبة يجب أن يرضي كافة الرغبات والأذواق ، وأن توجد فيه المواد القصصية وغير القصصية ، فضلا عن مجموعة مختارة من كتب المراجع .

وعلى الخدمة المكتبية في المستشفى أن تولي أمراض نزلائها عناية خاصة ، وما يترتب على هذه الامراض من تأثير على الخدمة ، فمرضى الأجل الطويل مثلا يحتاجون الى زاد من الكتب أوفر مما يحتاج اليه المقيمون بالمستشفى لأيام معدودات ، وتستلزم هذه الخدمة صلات بين الأمين والقارىءأقوى مما هي عليه في الظروف الأخرى الطبيعية . ويجب على المكتبة أن تضع في الحسبان أولئك الذين تأثر ابصارهم بسبب المرض أو الشيخوخة أو تناول العقاقير ، فتقدم لهم كتبا كثيرة الصور حتى يستفيد منها أيضاً الذي لا يعرفون القراءة والذين يتكلمون لغة أجنبية .

ويركز القائمون على هذه المكتبات في العادة على الروايات والقصص الرومانسي والخيالي والمثير ، غير أن المجموعة يجب أن تشمل كذلك على القراءات الجادة وبعض الأعمال الخالدة وكتب التاريخ والتراجم والرحلات . أما الصحف اليومية والمجلات الأسبوعية والشهرية والفصلية فيجب أن تختار بعناية لارضاء مختلف الأذواق .

وان كان على أمين مكتبة المستشفى أن يختار موقعها فالأفضل أن تكون في الوسط بالقرب من المصاعد لتجنب السير خطوات طويلة أو صعود الدرج الأمر الذي قد يعوق حركة ناقلات الكتب والكراسي المتحركة التي يستخدمها بعض المرضى في تنقلاتهم داخل المستشفى .

وفوق كل هذا لا بد للمكتبة من هذا النوع من أن تشتمل على تشكيلة واسعة من الأدوات المساعدة على القراءة لمعاونة المرضى المعوقين في استخدام الكتب . ومن بين هذه الأدوات مسند بسيط للكتب يضعه المريض فوق سريره ، وعود يستخدم بالفم لتقليب الصفحات ـ وهناك أجهزة الكترونية حديثة تؤدي نفس العمل ـ وعدسات مكبرة للقراءة وغيرها مما يحتاج اليه القارىء المعوق . وتتخذ هذه الأدوات أشكالاً مختلفة وتقوم بصنعها مؤسسات متخصصة في دول كثيرة .

وتأتي بعد ذلك ناقلة الكتب التي تعد في أي مستشفى بمثابة مكتبة كاملة متنقلة . ويمكن للناقلة الواحدة أن تحمل عدداً من الكتب قد يصل إلى ١٥٠ كتاباً ، أما رفوفها فهي ذات زوايا بحيث تساعد طريحي الفراش على التقاط ما يريدون بسهولة ، ويجب أن تكون الناقلة قادرة على الحركة والمناورة دون أدنى ضجيج .

ان الخدمة المكتبية للمستشفيات بالضرورة عمل إنساني ، لذلك ليس غريبا أن تتولى القيام بها المؤسسات والمنظمات الخيرية من خلال متطوعين لأداء مثل هذه الأعمال . وقد بدأ بعض هذه المؤسسات بالفعل في التخلي عن جزء كبير من مسئولياته نحو المستشفيات للمكتبات العامة ، باعتبارها المصدر الأول والأساسي لخدمة الجماهير بمن فيهم المرضى والمعوقين . والعلاج بالمستشفيات يولد التوتر

والانفعال ، ولهذا تعتبر القراءة متنفساً لمرضى كثيرين ونشاطاً حيوياً للجميع . ومن هنا فان تشجيع هؤلاء القراء ورعايتهم وصقلهم واشباع رغباتهم هي المبادىء الاساسية التي ترتكز عليها هذه الخدمة المكتبية .

المكتبة وراء الأسوار

يتوق جميع نزلاء السجون إلى أن يشغلوا أنفسهم بالعمل ـ عمل أي شيء . ولعل من أهم ما يفكر فيه القائمون بادارة السجون تحقيق هذه الرغبة المشروعة من جانب النزلاء . والكتب وحدها لا يمكنها حل المشكلة ، ولكنها تستطيع أن تفعل الكثير في رفع الروح المعنوية عند النزلاء ، وخصوصا القادرين منهم على القراءة ، لذلك فان وجود مكتبة بالسجن معناه توفير النشاط الذي يرغبه السجناء ، وليس أدل على ذلك من اجابات نزلاء أحد السجون الاميركية على بعض الأسئلة التي وجهت اليهم ، فمنهم من قال ببساطة : «لولا وجود الكتب لأصابني الجنون» ومنهم من قال «لقد ساعدتني الكتب في الاحتفاظ بعقل سليم وذهن نشط طوال فترة العقوبة» أو القائل «السجن يبدو كأقبح مكان لو لم تكن به مكتبة» .

والى جانب الرغبة في عمل أي شيء هناك مطالب أخرى يبذل المشرفون على مكتبات السجون جهوداً كبيرة لتحقيقها ، فمثلاً هناك عدد كبير من النزلاء ممن لم يعرفوا طعمًا للحياة العائلية السليمة ، لذلك تسعى المكتبة الى توفير الكتب التي تتحدث عن الأسر السعيدة الخالية من المشاكل . وقد يتوفر هنا العنصر في الروايات والقصص وبعض كتب التراجم ، أو في الكتب التي تؤكد على ضرورة ومزايا الحياة العائلية أو الزوجية السعيدة ، أو تلك التي تتناول الاحساس بالرضا لدى تأدية الانسان خدمة جليلة للمجتمع . ولا بأس في إضافة مجموعة صغيرة من الكتب المتخصصة في علم الاجتماع خصوصا ما يتعلق منها بالزواج والحياة الأسرية السوية .

ويعتمد الكثيرون من نزلاء السجون بأنفسهم وبكفاية عقولهم وقدراتهم ، بل ينشيء البعض منهم عالماً خاصاً في مخيلته يعيش فيه طوال فترة بقائه . ولما كانت وظيفة السجن ابعاد بعض الأفراد لفترات طويلة أو قصيرة عن المجتمع والعالم الخارجي ، فإن عليه أن يساعدهم لكي يصبحوا مواطنين صالحين عند خروجهم ومواجهتهم للمجتمع والعالم الخارجي . لذلك تحاول المكتبة احضار العالم الخارجي الى السجن ، وذلك بتوفير بعض الكتب عن الشئون الداخلية والخارجية للدولة .

ولتشجيع النزلاء على التفكير في الطرق السلمية لكسب عمل شريف تحرص المكتبة على اقتناء الكتب التي تتناول المهن المختلفة ، وكتب « علم نفسك » كالضرب على الآلة الكاتبة وميكانيكا السيارات والخياطة والسباكة واصلاح الآلات والأجهزة الكهربائية والألكترونية .

وفي كل الدول يعاني السجناء من كثرة اللوائح والقوانين والقواعد المفروضة ، ويريدون دائما الاعتراف بهم كأفراد أو مواطنين لهم بعض الحرية ولو في الاختيار . وتلعب المكتبة دوراً هاماً في تلبية هذه الرغبة ، وذلك بمنحهم الفرصة في قبول أو رفض ما يشاءون من الكتب ، وبتشجيع مطالبهم الخاصة في الحصول على ما يريدون من القراءات المختلفة .

ولخدمة جماعات المسجونين تعرض المكتبات في الولايات المتحدة أفلاماً تربوية وتعليمية تهدف الى تحسين الشخصية والابتعاد عن الشرور وتكوين المواطن الصالح .

ويتضمن عمل المشرفين على مكتبات السجون سؤال كل نزيل على حدة عما تعنيه المكتبة في حياته ، وعن الكتب التي يتذكر قراءتها ، وعن رأيه في مجموعة المكتبة . ولكي تكون الاجابات صريحة أو غير ناقصة يفضل إشعار النزلاء بأن اجاباتهم سوف تظل سرية وبأنها لا تدخل في سجل سلوكهم وتصرفاتهم .

لا بد لمكتبة السجن ـ التي تتولى الاشراف عليها المكتبة العامة في كثير من الدول ـ من أن تشمل كتباً في الدين والتربية وعلم النفس ، وكتباً تعالج بعض المشكلات الخاصة كالخوف والاضطراب والادمان ، وكتباً في الثقافة الصحية وآداب السلوك . ويجب أن تكون هذه الكتب سهلة القراءة كما يجب بعدها التام عن الآراء المتضاربة .

وأخيرا يجب أن نعترف بأن مكتبات السجون ليست بدعة أو مظهراً من مظاهر الترف ، وإنما هي ضرورة من ضرورات الادارة السليمة للسجون ، وأن على المكتبات العامة تخصيص خدمة للنزلاء ، لأنهم مواطنون أولا ولأنهم في حاجة إلى الكتب التي بمشيئة الله سوف تعود عليهم بالنفع .

مَكتَبَةُ الغَدْ : إعَارةُ الكتب بالبَريد

حتى أوائل الستينيات لم يكن قد فكر في إقامة خدمة مكتبية بطريق البريد غير حفنة من الأفراد ، ومع ذلك فقد نبتت جذور هذه الفكرة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الماضيين وقت أن كان في أوربا والولايات المتحدة عدد من مكتبات « التأجير » ومكتبات « الاشتراك » يتقاضى رسمًا أو اشتراكاً محدداً نظير إعارة الكتب للأعضاء إعارة منزلية . وكانت هذه المكتبات تستعين بالبريد في توصيل الكتب للمشتركين . بيد أن هذه الخدمة ذبلت تدريجياً حتى اختفت تماماً لأسباب اقتصادية ، وخشية أن ينتشر هذا الأسلوب بين الناس فيفسد تقدم المكتبات « الأخرى » ويعوق نموها .

ونظراً للحاجة الشديدة الى خدمة مكتبية تتولى توصيل الكتب للمنازل ، مثلما تفعل أكبر متاجر التجزئة في بعض البلدان والتي يستطيع الفرد فيها شراء ما يريد عن طريق البريد وأن يدفع قيمة ما يشتريه أيضاً عن طريق البريد ، نظراً لذلك فقد أقيم مؤتمر في مدينة (سان فرنسيسكو) عام ١٩٦٧ للتباحث في هذا الموضوع واقتراح الحلول العملية لانشاء مثل هذه الخدمة وتعميمها في كافة أنحاء الولايات المتحدة .

وللحقيقة وحدها لم تنل هذه الفكرة بعد نصيبها الكافي من التجربة والاختبار لا في الولايات المتحدة ولا في غيرها من الدول ، وظلت طيلة هذه السنين فكرة هامشية يجوز أن تطرح فقط في زمن الحرب أو في الأزمات والشدائد ، حتى المحاولات القليلة لتجربتها واجهت معارضة عنيفة باعتبارها خطراً يهدد كيان المكتبات وتكاثرها واستمرار نشاطها . والغريب أن ردة الفعل عند أمناء المكتبات تشبه الى حد كبير ما حدث لناشري الكتب في العالم أجمع لدى مقدم وظهور الكتب المغلفة بالورق قبل ثلاثين سنة تقريباً . وقد ظن الناشرون وقتها أن مبيعاتهم من الكتب المجلدة سوف تتأثر كثيراً وتنبأوا بإنهيار سوق الكتاب ، لكن سرعان ما تبددت أوهامهم عندما اكتشفوا أن كلا النوعين مكمل للآخر ومنشط لحركة الآخر وأن المسألة برمتها لا تتعدى تفضيل بعض القراء لنوع عن الآخر .

ويشير الخط الجماعي الذي يربط بين جميع العاملين في حقل المكتبات في عصرنا الراهن الى أن من يريد استعمال المكتبة عليه أن يصل اليها راكباً أو ماشياً ، إذ ليس هناك بديل . وكأن السيارة ـ وسيلة الإنتقال ـ أصبحت هي التي توجهنا ولسنا نحن ، فبدلاً من أن نقوم بتصميم المكتبات وخدماتها بما يتفق مع رغبات الناس واحتياجاتهم صممناها بما يتلاءم مع السيارة ، فماذا كانت النتيجة ؟ أصبح القراء بمعزل عن المجموعات الهامة ، ولم يبق أمامهم سوى الكتب الهزيلة الضحلة التي توفرها أقرب مكتبة فرعية اليهم .

وتكشف دراسات المسح الحديثة لموقف الناس حيال المكتبات أن معظمهم يغفلها ويتجنبها ، ولذلك أسباب عديدة ، منها فشل بعض المكتبات العامة وفروعها الصغيرة في تقديم خدمة مكتبية لائقة جديرة بالثقة ، ومنها كذلك مشاكل الروتين وفضول بعض الموظفين ونفورهم وترددهم في مساعدة القراء مساعدة حقيقية . لكن ارسال الكتب بالبريد الى المنازل أو المكاتب من مكتبة مركزية ضخمة لا تبعد عن الجميع بأكثر من ثلاثمائة كيلومتراً ، يتيح لكل فرد في وطنه الحصول على خدمة مكتبية فعلية وفعالة . وهناك في الولايات المتحدة متاجر كبرى مثل « مونتجومري واردز » و « سيرز » وغيرها تملك مستودعات ضخمة موزعة على مناطق متفرقة وبها مختلف السلع التي يحتاج اليها الإنسان بدءاً من أبر الخياطة وانتهاءً بالطائرات الخاصة . وتبيع هذه المتاجر كافة السلع بالبريد ، وهي تفعل ذلك كبديل مريح للمشترين يوفر عليهم مشقة الإنتقال الى متجر تجزئة صغير في الحي الذي يعيشون فيه لا يملك عادة غير مخزون محدود من السلع . وقبل ربع قرن تقريباً ظن الناس حتى المثقفون منهم أن نظام الشراء بالبريد مع ما يصحبه من « كتالوجات » مطبوعة سنوية وفصلية للسلع سوف يفشل فشلاً ذريعاً ، ورغم ذلك فإن النجاح الذي أحرزته هذه المتاجر حتى الآن فاق كل التصورات وبصورة خاصة في المدن .

وليست نوادي الكتب المنتشرة في معظم أرجاء العالم سوى فكرة مماثلة ، فنوادي الكتب تلبي طلبات شراء الكتب بطريق البريد وحده . وقد تطورت هذه النوادي وازدهرت في العصر الذي أصبحت فيه السيارة وسيلة انتقال عالمية . ومن هذا

المنطلق يعتقد البعض أن المكتبات قد تخلفت وتباطأت عن مسايرة روح العصر بما يقدر بثلاثين سنة على الأقل ، فأمناء المكتبات لا يدركون ـ مثلاً ـ مدى النجاح الذي حققته وتحققه نوادي الكتب ، علماً بأن الفكرة ذاتها جاءت من واحد فيهم .

وتستقبل المكتبات العامة ـ خاصة في الولايات المتحدة ـ المكالمات الهاتفية من القراء للاستعلام عن وجود بعض الكتب حتى تحتجز لهم في مكتب الإعارة ومن ثم يستعيرونها في طريق عودتهم الى منازلهم أو عندما تسنح لهم فرصة المرور على المكتبة . وهذه الخدمة اختيارية ويتوقف قيامها على وجود عدد كاف من الموظفين في المكتبة الواحدة ، حتى أن بعض المكتبات التي تعاني من نقص في الأيدي العاملة يتقاضى رسماً رمزياً نظير احتجاز الكتاب . والذي يحدث كثيراً أن بعض الحاجزين تحول ظروفهم دون الذهاب الى المكتبة لإتمام عملية الإستعارة ، وفي مثل تلك الأحوال سوف يلقى شحن الكتب بالبريد الى أولئك المستعيرين استحسانهم وتقديرهم . ويمكن للمكتبة إذا شاءت أن تفرض رسماً معيناً يغطي نفقات الشحن . والجدير بالذكر أن المرضى والمقعدين والملازمين بيوتهم لأسباب صحية أو لكبر السن سوف يستفيدون كثيراً من هذا الإجراء .

ومن المعروف أن بعض المكتبات العامة يشجع المستعيرين على رد ما استعاروه من الكتب بطريق البريد إذا لم يتيسر لهم الذهاب الى المكتبة أو كانوا يقضون عطلاتهم في أماكن بعيدة . وكثيراً ما تقوم المكتبة بطبع جذاذات صغيرة تحمل عنوان المكتبة لكي يستخدمها المستعيرون في ارجاع الكتب عن طريق البريد وذلك بلصقها على طرود الكتب من الخارج . وقد أفادت هذه الطريقة في ضمان وصول الكتب الى العنوان الصحيح للمكتبة . فإذا كان الحال هكذا فما الذي يمنع من إجراء العملية بأكلمها ـ الإستعارة والإرجاع ـ بالبريد ؟

وتعتبر قوائم الكتب والفهارس المطبوعة وملاحقها الشهرية جزءاً لا يتجزأ من هذه الخدمة البريدية . ومن حسن الحظ أن تكاليف اصدار وطبع هذه الفهارس انخفضت نسبياً مع انتشار وتقدم الوسائل التقنية الحديثة كالكمبيوتر . ويستطيع

القارىء الذي يفضل الخدمة البريدية في استعارة الكتب أن يملأ استمارة خاصة لدى المكتبة وأن يدفع سنوياً مبلغاًذهيداًمن المال لتغطية نفقات ما يصله من هذه الفهارس . وإذا لم تتمكن المكتبة الواحدة من إصدار هذا الفهرس المطبوع لأسباب مالية ، ففي وسعها الإنضمام الى عدد من المكتبات القريبة في اصدار فهرس موحد يضم مقتنياتها وبذلك تقل التكلفة .

ومن حسنات هذا النظام الجديد أنه يتيح للقارىء الفرد فرص الحصول على ما يشاء من الكتب سواء توفرت في مكتبته أو في غيرها من المكتبات . ومع أن نظام الإعارة بين المكتبات قائم بالفعل في دول عديدة الا أن شحن الكتب بالبريد الى القارىء مباشرة سيقضي على شكاوى القراء من طول الإنتظار ومن حتمية ذهابهم الى المكتبة مرتين احداهما للحصول على الكتاب والأخرى لإرجاعه ، كما أنه سيوفر للعاملين بالمكتبة كثيراً من الوقت اللازم لفتح الطرود القادمة من المكتبات الأخرى والتأكد من محتوياتها والبحث عن أصحابها وأشعارهم بوصولها وإعارتها لهم واستلامها منهم بعد فراغهم من قراءتها ثم حزمها في طرود وارسال الطرود بعد ذلك الى المكتبة التي جاءت منها .

ويمكن تحقيق أعظم الفائدة من نظام الإعارة بالبريد في المناطق النائية أو الخالية من المكتبات والتي تعتمد أساساً على خدمات المكتبة المتنقلة التي تجوب تلك المناطق في مواعيد ثابتة ينتظرها سكانها بفارغ الصبر ، إذ تبلغ فترة ما بين وصول سيارة الكتب مرتين متتاليتين الى نفس الموقع أسبوعين أو شهراً أو أكثر في بعض الأحيان . والمكتبة السيا رة لا تصل الى منازل المستعيرين وإنما يهرعون هم اليها . ولا شك أن نظام إعارة الكتب بالبريد لأهالي تلك المناطق سوف يريحهم من عناء الإنتظار وسيضمن وصول الكتب الى عقر دارهم .

إن خدمة القراء بالبريد لا تزال تمر بأولى مراحل التجريب . وهي تعتبر عنصراً أساسياً من عناصر تطوير خدمات المكتبات بما يواكب التقدم الحضاري الذي نحياه وننعم به ، فالمعلوم أن أي سلعة يمكن الحصول عليها بطريق الهاتف دون تعقيدات الروتين ، لذا يجب أن يتمكن القارىء من الحصول على ما يشاء من الكتب أما

بالهاتف أو بخطاب مرسل بالبريد . وحتى لا تتهم المكتبات بالتقاعس والتراخي في استغلال ثرواتها من الكتب الإستغلال الأمثل فسوف يأتي اليوم الذي تفتتح فيه مكتباتنا العامة خدمة من هذا النوع تضمن وصول الكتاب المناسب في الوقت المناسب ، وليس ذلك اليوم ببعيد .

ضياع المؤلفات من رصيد مختلف المكتبات

ربما يظن بعض القراء أن هذا عنوان أحد الكتب ، وهو في الحقيقة غير ذلك . وليس دافعي إلى إختيار عنوان كهذا ، على غرار عناوين أعمال التراث العربي التليد ، الا لفت الأنظار إلى ظاهرة قديمة قدم المكتبات نفسها ، وهي ظاهرة ضياع أو اختفاء بعض الكتب من رصيدها . ففي عصر تقلصت فيه عمليات الجرد في معظم المكتبات إلى أدنى حد ، يصبح من العسير الإفتراض أن المكتبات ذات الرفوف المفتوحة لجميع القراء على السواء تخلو من ضياع بعض الكتب . وكل مواد المكتبات قابلة للضياع ، كما أن كل أنواع المكتبات معرضة للوقوع ضحية له . ويحرص الكثيرون من أمناء المكتبات ومديريها على عدم الاعلان عن المشكلة ، أو إخفائها تحت ما يسمى « نسخ بديلة » أو «نسبة الفاقد» أو « عجز بالعهد» أوما شابه ذلـــك من بنود ميزانيات المكتبات .

وإن شئنا الدقة فإن مشكلة ضياع الكتب تعـد تبديداً لأموال المكتبات . وقد بدأ الاحساس بها يتعمق عندما اضطرت إحدى المكتبات الأميركية العامة بولاية (نيوجرسي) إلى الاستعانة برجال الشرطة لاسترداد الكتب التي امتنع مستعيروها بالاجماع عن إعادتها للمكتبة . ويومها نشرت مجلة « لايف » المعروفة تحقيقاً طريفاً مصوراً عن الواقعة في عددها الصادر في ١٧ من شباط (فبراير) عام ١٩٦١ . ومنذ ذلك الحين ظهرت محاولات كثيرة للقضاء على هذه الظاهرة ، منها إلغاء الغرامات التي تفرضها بعض المكتبات على الكتب المتأخرة في الإعارة ، أو رفع قيمة الغرامات في مكتبات أخرى ، أو زيادة ما يسمى « أيام العفو الشامل » وهي أيام تختارها المكتبة من كل عام للصفح عن جميع المتخلفين والمتأخرين في رد الكتب فلا تعاقبهم بتوقيع الغرامات والجزاءات المفروضة عليهم .

على أن لفظ « ضائع » أو «مفقود» ليس بالضرورة تعبيراً مهذباً عن كلمة « مسروق » ، فقد يعني الضياع في لغة المكتبات أشياء أخرى مثل « موضوع في غير مكانه » أو « مرفوف بطريق الخطأ » أو « ضائع من سجلات الاعارة » « معار من مدة

طويلة » . . . الخ . وتعود ذاكرتي في هذا الصدد إلى ما كان يحدث في مكتبة جامعية كبرى بالولايات المتحدة في الستينات ، فقد لاحظ المسؤ ولون هناك أن أعدادا غفيرة من الكتب تختفي من الرفوف في مواسم معينة ، مثل مواسم كتابة أبحاث الفصل الدراسي والفترات التي تسبق عقد الامتحانات النهائية ، لكن سرعان ما تعود هذه الكتب المختفية إلى الرفوف بعد ذلك . وبعد دراسة متعمقة للمشكلة اكتشفت المكتبة أن اعارة كتابين فقط للطالب في الوقت الواحد كانت السبب وراء هذا الاختفاء المؤقت ، واضطرت المكتبة ازاء ذلك الى زيادة ما يحق للطالب أن يستعيره ، واستطاعت بهذه الطريقة وحدها القضاء على مشكلة اختفاء الكتب .

وقد يكون من بين أسباب ضياع الكتب رغبة قارىء منحرف في الحصول على الكتاب لنفسه ، أو نزعة شريرة في تحويل الكتاب الى مبلغ من المال . وهناك واقعة قديمة ذائعة الصيت تعود الى عام ١٨٤٨ حينما استولى بطلها ـ وكان من الباحثين المعروفين ـ على كتاب نادر قدرت قيمته آنذاك بما يربو على ٤٠,٠٠٠ فرنك ، واتبع في ذلك أسلوباً لا يزال قائماً الى اليوم ، فقد صادق البعض من موظفي المكتبة ، وعرف كيف يمحو ويزيل علامات ملكية الكتاب ، وكان لديه سوق جاهزة خارج القطر يزاول فيها نشاطه الاجرامي .

وفي السنوات الأولى لنشأة علم المكتبات الذي كان يسمى آنذاك الاقتصاد المكتبي تركز إهتمام أمناء المكتبات على جرد محتوياتها للتأكد من سلامة المجموعات . وقد أفاد الجرد كثيراً في إعادة ترفيف الكتب في أماكنها الصحيحة ، وفي تهيئة الفرصة للأمين لمعرفة ما إذا كان ضياع الكتب نتيجة إهمال بعض القراء في إعادة الكتب إلى مواقعها الأصلية أم نتيجة أسباب أخرى . وكان الإجراء يتم عادة سنوياً كمهمة مشوقة يشترك فيها جميع العاملين بالمكتبة ، الأمر الذي صرفهم عن إهتمامهم الأساسي وهو الإعارة . وخدمة القراء إلى الإهتمام بمسك الدفاتر . ورغم ذلك فقد هبط إختفاء الكتب إلى حده الأدنى كما استقامت سجلات الإعارة . وكان الجرد وراء إتخاذ القرار بشأن الكتب الضائعة ، سواء بالإستبدال أو بإزالتها من السجلات .

وعندما انتقلت المكتبات في دول كثيرة من الإعارة اليدوية إلى الإعارة الآلية استمر ضياع الكتب في النقصان ، لا بفضل الوسائل الآلية وإنما بفضل الجرد ، فقد ساعدت هذه الوسائل في توفير وقت الموظفين عند قيامهم بالجرد كما عاونتهم على إتمام عملية الإعارة في وقت وجيز. وبفضل الآلة أمكن مراجعة عمليات الإعارة بدقة وسهولة والكشف عن أي ثغرة فيها. لذلك اعتقد البعض أن فقدان الكتب يلغ أدنى حدوده، ودعا ذلك الإعتقاد إلى جانب تكاليف الجرد الباهظة، خصوصاً في المجموعات الضخمة، إلى الحد من الرغبة في القيام بالجرد.

وظهرت محاولات عديدة في الماضي للحد من ضياع المؤلفات من المكتبات . ويتحدث الكثيرون عن أهل العصور الوسطى الذين كانوا يقيدون المخطوطات بالسلاسل إلى جدران المكتبات خشية الضياع . ولأن المخطوطات والكتب كانت في عهده أمناء المكتبات في تلك العهود ، فقد منعوا إعارتها خارجياً . وظلت مشكلة العهدة تسيطر على عقول المشتغلين بالمكتبات الى زمن قريب ، ولا زالت بعض الدول تعتبر الأمين مسؤولا عن المجموعة مسؤولية كاملة الى وقتنا الحاضر . وقد اعتبر الاهتمام الشديد بمسألة العهدة معوقاً للخدمة المكتبية مما دعا إلى النظر في وسائل أخرى للحد من ضياع الكتب دون أن يشغل الأمر وقت الموظفين أو يستنزف جهدهم .

وتقوم حالياً بالولايات المتحدة جهود مختلفة في مجال قياس وتقليل المفقودات . وبرزت مؤخراً فكرة تركيب تجهيزات وأنظمة وقائية لحماية المكتبات ، من بينها أجهزة تثبت عند مخارج المكتبة تصدر رنيناً عالياً لدى خروج أي شخص يحمل أي مطبوع يخص المكتبة لم يقم باستعارته ، فتفتضح أمره . وقد أثبتت هذه الأجهزة إنخفاضاً ملحوظاً في حجم الكتب المفقودة في المكتبات التي قامت بتركيبها إلى الآن .

ومن نافلة القول أن الضياع لا يقتصر على الكتب وحدها وإنما يشمل مواداً أخرى أيضاً ، خاصة بعد أن دخلت هذه المواد في رصيد المكتبات ، فالاسطوانات

المسجلة تختفي باستبدالها في أغلفة أخرى ، وبكرات الميكروفيلم يسهل دسها في الجيوب ، وضياع الشرائط السمعية (الكاست) أضحى مشكلة مزمنة تؤرق المكتبيين ، وقد عانت مكتبة (نيويورك) العامة طويلاً من فقدان الصور واللوحات الزيتية ، في حين إختفت الخرائط من مكتبات أخرى .

· وإلى اليوم لم تثبت أي وسيلة لضبط واحكام المجموعات المكتبية فعاليتها التامة في الحؤول دون فقد بعض الكتب والمواد ، حتى لو أغلقت المجموعات بالقفل والمفتاح ، وحتى لو لم يسمح بتداولها واستخدامها . ومن رأى كاتب هذه السطور أن الترشيد الجيد لاستخدام المكتبات مع تطوير الأنظمة والتجهيزات الآلية المنذرة سيؤديان مستقبلاً الى خفض نسب المفقودات بدرجة هائلة إن لم يقضيا عليها تماماً .

الإحصاء في المكتبة .. كيف ولماذا ؟

سمعتهم يقولون : « يمكن إستخدام الأرقام لاثبات أي شيء » أو يقولون : « الوقت الذي ينفق في عمليات الاحصاء وقت ضائع في جهود غيرمثمرة» أو « إحصائيات الاعارة عديمة النفع إذا استخدمت مقياساً لقيمة المكتبة » . هذه العبارات ومثيلاتها مما يردده العاملون في حقل المكتبات تنطوي على بعض الحقيقة وليس الحقيقة بأكملها ، فالاحصائيات ليست سوى مقاييس أو ـ كما يحبذ وصفها المشتغلون بالاحصاء ـ حقائق يعبر عنها بالأرقام ، واستخدامها كمقاييس غالبا ما يتسم بعدم الجدوى أو لا يبصر بالواقع لأسباب عدة ، منها أن من يقرأون المقاييس بل من يقومون بإنشائها أحياناً قد لا يفهمون غموض ونقائص وحدة القياس ، ومن بينها أن التحليل الإحصائي غالبا ما يكون ناقصاً، ومنها كذلك أن علاقة الحقائق بعضها بالبعض كثيراً ما تكون كاذبة وربما لا وجود لها على الاطلاق .

وأول ما ينبغي إدراكه هو أن الإحصاء لا يعني إنشاء أعمدة من الأرقام وإستخراج نسب مئوية فحسب ، إنما المهم أن يكون لهذه العملية هدف واضح وللأرقام دلالات ومؤشرات وقدرة على التعبير عن وصف المكتبة ومواردها وما تقوم به من أعمال وأنشطة . لـذلك تعتبر الخبرة والذكاء من أبرز الصفات الواجب توفرها في القائمين بالعمليات الاحصائية .

ومن مزايا الاحصاء في المكتبة أنه يبني الهيكل الذي لو أحيط ببعض التعليق أو التفسير قدم لنا صورة دقيقة حية لواقع المكتبة ، فالاحصائيات تحوي حقائق إيجابية مدعمة بالأرقام عن تقدم المكتبة أو تأخرها ، تلك الحقائق التي تنير السبيل أمام مديري المكتبات والسلطات الأخرى فيصدرون أحكاما مرضية أو غير مرضية عن وضعها الفعلي ، ومن ثم تساعدهم في اتخاذ القرارات المناسبة . وقد ثبت استخدام الكثيرين من مدراء المكتبات لهذه الاحصائيات كذخيرة تنفعهم في تقرير الحصول على كتب أكثر أو موظفين أكثر أو مبنى جديد أو ما يرون أنهم في حاجة إليه بالفعل . ومع أن الاحصائيات لا تعتبر وسيلة مباشرة لتحسين الخدمة المكتبية إلا أنها تؤدي

بطريق غير مباشر إلى النهوض بالقاعدة الأولى لنمو المكتبة وإرتقائها وذلك بما تجلبه من جذب إهتمام المسئولين ودق ناقوس الخطر عند الاقتضاء.

ويتم الاحصاء على مستويات مختلفة منها الصغير أو المحلي وأقصد به مستوى المكتبة الواحدة وما تنجزه من عمليات وخدمات ، ومنها واسع النطاق أي مستوى الأمة الواحدة بكل ما تملك من مكتبات ممثلاً في الاحصائيات التي تقوم بها الوكالات المتخصصة والجمعيات المهنية والوحدات الادارية الحكومية في المدن والأقاليم والمناطق ، ومنها أيضاً المستوى الدولي كالذي تقدمه بعض الهيئات الدولية مثل يونسكو والمنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة من البيانات والأرقام مما يدور على الساحة الدولية .

وتتصف الاحصائيات التي تجمعها المكتبات بتماثل يدعو للدهشة ، فكلها أو معظمها يتناول البنود الآتية : الرصيد - المقتنيات الحديثة - المواد المعارة - المواد المجهزة للرفوف (أي المفهرسة والمصنفة) - الايرادات (مع ذكر المصدر) - المصروفات الخاصة بالكتب والمواد الأخرى - المصروفات الخاصة بالموظفين - مصروفات الصيانة والتشغيل - مساحة المبنى - المساحة المخصصة للجلوس - القراء المسجلون - ساعات الخدمة . ولعله من الواضح أن الغالبية العظمى من المكتبات تهتم بالطاقة الفعلية أكثر من اهتمامها بالمردود ، فهي تصف الموارد التي يمكن تقديم الخدمة من خلالها ، ولكنها - للأسف - لا تصف الخدمة في ذاتها ، ولا تذكر شيئا له قيمته عن العلاقة بين القارىء وبين المكتبة ومواردها .

وقد أثير جدل حول بعض البنود مثل ساعات الخدمة وما اذا كان من الجائز اعتبارها بندا احصائيا ، ورغم ذلك تبقى هناك حقيقة ثابتة هي أن كل ما « يصف » المكتبة وخدماتها يدخل ضمن بنود الاحصاء ، فالمقصود منه الرد على التساؤلات والاستفسارات مثل : كم عدد - كم مرة - كم من الوقت - إلى أي مدى - بأي ثمن ؟ ... الخ .

ومن الغريب حقاً أن تركز المكتبات على البيانات الاحصائية السهلة والتي يمكن الحصول عليها آلياً في معظم الأحيان . مثال ذلك إحصائيات الاعارة

الخارجية التي يسهل تسجيلها فور وقوعها مباشرة سواء تم ذلك يدوياً أو آلياً . أما احصائيات خدمات المراجع فهي أصعب من حيث التسجيل أو الجمع ، وتتطلب حصر الأسئلة وتصنيفها حسب النوع أو حسب السائل أو حسب المصادر المستشارة ، الأمر الذي يشجع معظم المكتبات على إغفالها رغم أهميتها . والأصعب من هذا وذاك احصاء الاعارات الداخلية أي المواد التي تستخدم فقط داخل المكتبة والتي يتعذر ان لم يكن من المستحيل عدها وضبطها ، ذلك أنها متناثرة بطول المكتبة وعرضها وليس هناك من نقاط للمراقبة تحكم قياسها .

وقد شاع بين المكتبات الأوروبية والأميركية منذ سنوات إعداد الاحصائيات المعقدة والمركبة ، ومن أمثلتها الأرقام التي تعبر عن متوسط الاعارة لكل فرد ، أو نسبة المصروفات الخاصة بالموظفين الى المصروفات الخاصة بشراء الكتب والمواد ، أو نسبة الرواد المنتظمين الى المجموع الكلي للمنتفعين بالمكتبة ، أو معدلات النمو منسوبة إلى سنة الأساس . كما ظهرت في السنوات الأخيرة محاولات قياس مدى تيسر الحصول على المواد ، ومدى ارتياح القراء للخدمة المكتبية ، وكل هذه الاحصائيات لا تعتمد على مجرد العد البسيط وإنما يجري حسابها من النسب والمعادلات وتستعين بالحاسب الآلي « الكمبيوتر » في أغلب الحالات ، حتى أن بعض المهتمين بالاحصاء هناك يقترح ويطالب بإقامة بنوك للبيانات الاحصائية على غرار بنوك المعلومات لتخزين الاحصائيات المكتبية وتحليلها وتوزيعها .

وفي حقل المكتبات يسود الاعتقاد بأنه كلما زادت طاقة المكتبة كلما تحسنت الخدمة . والذين يؤمنون بهذه المعادلة يرون في زيادة ايرادات المكتبة ومصروفاتها ورصيدها وموظفيها وساعات فتح أبوابها ما يساعد على جودة الخدمة المكتبية . بيد أن هذه النظرية يعوزها الدليل القاطع ، فكم من مكتبات ذات موارد محدودة استطاعت أن تؤدي رسالتها بطريقة أفضل من المكتبات صاحبة الموارد الضخمة !

وإحصائيات الرصيد أو الاعارة في حد ذاتها لا تعني شيئاً سوى للقلة التي هي على دراية تامة بالعمل الذي تؤديه المكتبة . فماذا يهم القارىء العادي من معرفة ما إذا كانت المكتبة التي يتردد عليها قد قامت باعارة ثلاثين أو مائة ألف مجلد في العام

الماضي ؟ فالرقمان في نظره من الأرقام الضخمة فحسب . ومن أين له أن يدرك مقدار ما يتطلبه رصيد مكون من عشرين أو ثمانين ألف مجلد من الرفوف أو الحيز ؟ لكنه لو علم أن مكتبته تغير مائة مجلد سنوياً في حين أن مكتبة أخرى مماثلة تعير ثلاثين ألفاً فقط ، لاطمأن إلى سلامة سير العمل بمكتبته وزاد فخره بها واقباله عليها وبالمثل ، لو أنه اكتشف أن رصيد مكتبته يتألف من خمسين ألف كتاب وأن المبنى الذي شيد قبل عشرين سنة قد أعد ليتسع لثلاثين ألف مجلد فقط ، لشعر بأن هناك ما يجب فعله إزاء المبنى الحالي .

مجمل القول أن الاحصائيات لا يمكن أن يكون لها معنى أو فائدة إذا إستخدمناها بمعزل عن إحصائيات أخرى، فالمقارنة عنصر ضروري في الإحصاء . والمقارنات أما زمنية (العام الماضي مقابل العام الحالي) أو مكانية (مكتبة مقابل أخرى أو أخريات) . ثم انها تحتاج إلى معايير من نوع أو آخر حتى يمكن أن تضاهى بها الأرقام ، وهنا مصدر الشقاء ، فاقامة أسس القياس ليست بالأمر اليسير ، والمكتبات تختلف من واحدة لأخرى من حيث الظروف ، بل تختلف ظروف المكتبة الواحدة أحياناً من فترة لأخرى . يزيد على ذلك إختلاف مفهوم وحدة القياس بين المكتبات عند جمع البيانات ، فتحت بند الرصيد مثلاً لا يزال الغموض يغلف لفظ « مجلد » وهل ينسحب على الكتب فقط أم على مجلدات الدوريات والنشرات أيضاً . لذلك من الطبيعي أن يستاء الناس من المقارنات الكاذبة ، ويبدو أن الطريق أمامنا ما زال طويلاً حتى نقطع في العلوم القياسية شأواً معقولاً يمكننا من بناء وجوه سليمة للمقارنة .

وإذا كانت المكتبات غير قادرة على جمع الاحصائيات لظروف خارجة عن إرادتها مثل قلة الموظفين الذين تستند إليهم هذه العمليات أو غياب الادوات والأجهزة التي تسهل القيام بها ، فلماذا لا تلجأ الى أسلوب « العينة » ؟ فهذا الأسلوب رغم كونه لا يلقى رواجاً كافياً بين المكتبات يسهل ويعجل جمع البيانات التي يستغرق اعدادها بالوسائل الأخرى وقتا طويلاً ، وهو أفضل بكثير من تجاهلها والتغاضي عنها . ويمكن للمكتبة التي تتبع هذا الأسلوب أن تتولى عمليات الجمع كلما توفر لديها

الوقت بمعدل مرة واحدة في الأسبوع أو حتى في الشهر ، وجدير بالذكر أن أسلوب « العينة » من الأساليب المعتمدة في الاحصاء .

إن حاجة المكتبة العربية إلى الاحصاء شديدة وخاصة في المرحلة الراهنة ، مرحلة النهوض بالمكتبة وعملياتها الفنية وخدماتها للرواد . ويجب أن تتضافر الجهود لجمع الاحصائيات ذات القيمة ، وأن تتم عمليات الجمع بصفة مستمرة ، وأن تنقل إلى المسئولين أولا بأول ، كما يجب البعد عن المبالغة أو «الفبركة» التي من شأنها إعطاء صورة غير صادقة عن واقع المكتبة مهما كانت الأسباب ، حتى لا تضلل المديرين والمسئولين . والأمل معقود على إنشاء مركز على مستوى الأمة العربية يتولى تحديد المفاهيم الاحصائية فيما يخص المكتبات وتقنين المعايير وتوحيدها وتلقى الاحصائيات من مختلف المكتبات ونشرها بصفة دورية . ولا تزال كلمات « س . ماهوني » عالم الاحصاء الأميركي تتردد في سمعى ، إذ يقول : « ان القدرة على استخلاص العناصر الأساسية لوضع ما والتعبير عنها في شكل رموز قد مكنت الانسان من التوصل إلى حلول سليمة للعديد من المشاكل المحيرة » .

أضواء على مكتبات البحوث

من هو الباحث ؟ وما هي مكتبات البحوث ؟ ما هي أهدافها ؟ كيف ينظر الباحثون الى مكتبات البحوث ، والى العاملين بها ؟ هل هي ضرورية لبقاء الأمة والنهوض بها ؟ هل في وجودها مساندة لإقتصاديات الدولة وتوفير للشباب المدرب الخبير المستنير؟ ما الذي يريده الباحثون من مكتبات البحوث ؟ تلك هي بعض التساؤلات التي يطرحها الكثيرون من الشباب المثقف أو تدور بخلدهم ويريدون لها إجابات شافية . وسوف أحاول فيما يلي من سطور أن أعرض بعض الأفكار والآراء لعل فيها ما ينير الطريق .

إذا نحن نظرنا الى « الباحث » بالمفهوم الحرفي أو اللغوي البحت للفظ ، وجدناه يدل على الفرد الذي يقوم بإجراء بحث أو تقصي للحقائق ، وهو مفهوم مطاط ينطوي على اعتبار فئات عريضة من الناس باحثين . لكن **معجم وبستر العالمي الجديد** ـ وهو أحد المعاجم الأمريكية الشهيرة المعتمدة عالمياً ـ يعرف الباحث بالشخص المشغول بدراسة عالية ، وعلى درجة من الإلمام بأحد ميادين العلم ، ويعرفه كذلك بالشخص الذي يعمل على توسيع نطاق المعرفة ، والذي يقدر على استخراج أو استنباط المعلومات الجديدة ، ولإدراك هذه الغاية يحتاج بالضرورة الى الاعتماد على مكتبات البحوث .

أما مكتبات البحوث فليست سوى مؤسسات علمية تشيد بصفة أساسية لغرض مساعدة أولئك الذين يعملون على توسيع حدود المعرفة ، أي الباحثين . أما أهدافها الأخرى فتشمل توفير وزيادة وحفظ واسترجاع سجلات الإنتاج الفكري من كل حضارة ومن كل عصر .

ويقسم المتخصصون في علوم المكتبات والمعلومات مكتبات البحوث عادة الى أنواع ثلاثة : أولها المكتبات المتخصصة ، وهي التي تخدم ناحية ضيقة من نواحي العلم ، مثل المكتبات المتخصصة في الزراعة أو الهندسة أو الجيولوجيا أو الطب أو

الإجتماع أو الإقتصاد . . . الخ . وتشكل النوع الثاني من مكتبات البحوث المكتبات الجامعية ، وهي التي تقع عليها مسئولية تغطية ميادين البحث العلمي بأكملها أو على أقل تقدير مجالات التخصص في الكليات والمعاهد والمراكز العلمية التي تضمها . وتلعب المكتبة في الجامعة دور الأمين على المعرفة الحالية ، كما تمثل مستودعاً هائلاً للمعرفة المرتقبة . أما النوع الثالث والأخير من مكتبات البحوث فيتمثل في المجموعات الخاصة مثل المخطوطات والكتب النادرة والوثائق ومجموعات الصور والأفلام والخرائط ومواد التاريخ المحلي .

وبالنسبة للباحثين جميعاً وخصوصاً في مجالات العلوم الإنسانية والإجتماعية تعتبر مكتبة البحث مختبراً كما تعتبر أداة ضرورية من أدوات البحث ، ذلك أنها تزودهم بصفة دائمة بنتائج البحوث السالفة . ولا يحتاج الباحثون فيها الى الكتب والمواد الحديثة أو الجارية فحسب بل يحتاجون أيضاً الى النصوص والوثائق الأصلية . ويرى البعض أن فكرة الإكتمال في كل ميادين العلم تبدو مستحيلة التحقيق ، وأن عنصر الإختيار أمر لا مفر منه في بناء مجموعة المكتبة ، لذلك فهم يفضلون أن تقتصر المكتبة في توزيع ما تنفقه في شراء مقتنياتها على الأدوات الأساسية كالدوريات والمراجع ، والكتب الهامة فقط في معظم المجالات القريبة من مجال التخصص ، فضلاً عن المجموعات التي تتناول مجال التخصص ذاته ، وإذا تبقى جزء من ميزانية الشراء بعد كل هذا فيمكن للمكتبة أن تنفقه في شراء « الكماليات » من الكتب النادرة أو المخطوطات.

وبعد دراسة طويلة لملاحظات واقتراحات عدد كبير من الباحثين ـ وأغلبهم من أساتذة الجامعات والعلماء من دول مختلفة ـ عن العلاقة بين الباحثين وبين مكتبات البحوث ، يستطيع المرء أن يتوصل الى حقيقة واضحة ، هي أن ما يناسب نوعاً من مكتبات البحوث قد لا يناسب الأنواع الأخرى ، كما أن ما يفيد باحثاً بعينه لا يفيد بالضرورة زملاءه من الباحثين . لذلك فإن الواجب الأول لأمين مكتبة البحث هو تحديد السياسة التي سوف تنتهجها مكتبته على ضوء الأهداف التي تسعى الى تحقيقها .

وهناك حقيقة أخرى يلمسها العاملون في هذا الحقل ، وهي أن المكتبات المتخصصة في فرع من فروع المعرفة تواجه مشاكل عديدة ، ولكن لما كانت أهدافها ضيقة وسهلة التحديد فإن مشاكلها تعتبر في الواقع أخف نسبياً من مشكلات المكتبات الجامعية . فالباحثون في المكتبة الجامعية ، لأنهم أقل تجانساً من نظرائهم في المكتبة المتخصصة ، يطلبون الكثير ، وينظرون الى المكتبة الجامعية كما لو كانت مستودعاً كاملاً من شأنه خدمة ميادين البحث بأكملها . ليس هذا فحسب وإنما نلاحظ أيضاً الرغبات والآراء المتضاربة ، ففيما يتوق باحثو العلوم الإنسانية والإجتماعية الى رؤ ية كل ما هو مطبوع بالمكتبة ، يرغب بحاث ودارسو العلوم البحتة والتطبيقية في التقليل من المواد القديمة عامة ، ويفضلون استخدام الدوريات والكتب الحديثة والنشرات الجارية . إن هذه الفئة الأخيرة تؤ ثر أن ينفق المكتبيون وقتاً أطول في تلخيص المقالات العلمية واعداد القوائم الببليوجرافية وأعمال التكشيف من أن يعنوا بالكتب القديمة والمواد قليلة الإستخدام .

وإزاء السيل الهائل من المطبوعات والتضخم السريع في رصيد المكتبات يقترح بحاث العلوم الإنسانية والإجتماعية إقامة الحواجز ، ويقصدون بذلك وضع قواعد للشراء على أساس الأفضل ، ولكنهم لا يقترحون الحد من كمية النشر كما يفعل زملاؤ هم بحاث العلوم والتكنولوجيا . ويعد اقتراح البعض من هذه الفئة الأخيرة بأن يكتفي الناشرون بما يستحق النشر إقتراحاً جريئاً وليس واقعياً . فمن ذا الذي له أن يقرر ما لا يستحق النشر ؟ أضف الى ذلك أن عدداً كبيراً من الناشرين لن يشاركهم هذا الرأي ، فالنشر في نظرهم تجارة والكتب بالنسبة لهم سلعة شأنها شأن أي سلعة أخرى تخضع لميزان العرض والطلب . ولعل الحل الإيجابي فيما يخص المكتبات هو الإختيار ، أو على وجه الدقة وضع المعايير التي تراها مناسبة للاختيار .

وثمة فكرة أخرى يقترحها بعض الباحثين . أنهم يناشدون الكتاب والمؤلفين أن يضعوا ملخصات لمؤلفاتهم على أن يقوموا هم أنفسهم بالتلخيص ، وبذلك يعاونون الباحث على استعراض ما يؤلف في مجال بحثه بسرعة كما يساعدون على توفير المساحة في المكتبات . واحقاقاً للحق أقول أن ذلك يتم بالفعل في معظم

مجالات العلوم البحتة والتطبيقية ، لكنه لا يحدث إلا نادراً جداً في مجالات العلوم الإجتماعية والإنسانية .

أما مشكلة المساعدة في البحث فهي تبدو مشكلة غامضة نوعاً ما ، فهناك اختلافات كبيرة بين كل فئات الباحثين حول طرق البحث نفسها ، ففي حين يحرص البعض على الإستقلال والإعتماد على النفس عند القيام بالبحوث ، يتمنى الآخرون أن تخفف عنهم بعض أعباء البحث . وعلى أي حال فإن وجود نوع من أنواع المساعدة يعتبر ضرورة لا غنى عنها ، لكن طبيعة وشكل هذه المساعدة يتأثران كثيراً بميزانية المكتبة كما يتأثران بكفاءة المكتبيين المتوفرين .

إن المستقبل يشير بوضوح الى أن مكتبات البحوث سوف تمضي في جمع كل ما تراه ضرورياً لازماً للقيام بالبحوث ، وفي التشجيع على تقديم المزيد منها وفي حفظ التراث . ومن جهة أخرى ستحاول الوسائل التقنية الحديثة أن تشق الطريق نحو السرعة في إنجاز الأعمال والتوفير في المساحة والعمل على نشر المعرفة بطرق أوسع وأسهل . وسوف يعتمد الباحثون على المكتبيين في تحقيق مطالبهم المستقبلة لأنهم استطاعوا في الماضي بما بذلوه من عرق وجهد تحقيق ما وصلت اليه البشرية من نجاح .

التلفزيون التعليميّ في خِدمَةِ مكتبةِ الجامِعَةِ

هل يستطيع التلفزيون التعليمي أن يحل مشكلة التعريف بالمكتبة للأعداد الغفيرة من الطلاب ؟ ذلك هو السؤال الذي يتبادر الى أذهان بعض أمناء المكتبات الجامعية في مواجهة الأعداد المتزايدة دوماً من الطلاب والطالبات الذين يلتحقون بالجامعة لأول مرة . فقد مضى الزمن الذي كانت تستعين فيه الجامعات بالمحاضرات والزيارات الموجهة لمكتباتها من أجل تعليم الطلاب كيفية استخدام هذه المكتبات . وعندما يرتفع عدد المسجلين الجدد الى بضع مئات أو آلاف كل عام ، يتبين أن الطرق التقليدية في إرشاد مجموعات الطلاب المكونة من عشرين أو ثلاثين طالباً للتجول داخل المكتبة في وقت واحد لم تعد تنفع ، وأن الوقت قد حان للبحث عن سبل أخرى نافذة المفعول لكي يألف الطلاب مكتباتهم ويكثروا من التردد عليها والإستفادة من خدماتها .

وقد بدأت هذه المشكلة تتبلور في معظم الجامعات الأمريكية مع مطلع الستينات ، وهي السنوات التي شاهدت إرتفاعاً ملحوظاً في أعداد المتقدمين اليها . وفيما قبل ذلك كانت الجامعات تكتفي بتقسيم الطلاب الجدد الى مجموعات تقوم كل منها بجولة عامة داخل المكتبة المركزية بإشراف أحد المتخصصين لكي تتلقفهم بعد ذلك مكتبات الكليات التي يسجلون فيها وتقدم لهم تدريباً في طرق استخدامها . وقد تدعو الكلية بين الحين والآخر أحد الأساتذة لإلقاء محاضرة حول موارد المكتبة وسبل استغلالها ، غير أن ذلك لم يكن يحدث إلا نادراً .

وإذا قيس مقدار الوقت الذي ينفقه الموظفون على هذه الجولات بالإضافة الى الوقت المخصص لإلقاء محاضرات نظامية من جانب أمناء المكتبات على الطلاب ، يتضح عقم هذه الوسائل التي باتت تشكل عبئاً ضخماً على القائمين بها ، ناهيك عن القصور في أدائها خاصة إذا علمت أن الذي يلقي تلك المحاضرات عليه أن يكرر حديثه في ذات الموضوع عشرات المرات خلال الفصل الدراسي الواحد .

وقد لاحظت المكتبات التي اعتادت تقديم الجولات أن الانتقال بمجموعة من

الطلاب يتراوح عددها بين عشرين وثلاثين طالباً من قاعة الى أخرى ومن قسم الى آخر داخل المكتبة لم يكن أمراً سهلاً على الإطلاق ، وكثيراً ما تنتهي الجولات بأن يتعرف الطلاب على ممرات ودهاليز المكتبة أكثر من تعرفهم على فهـارسها ومجموعاتها . وإذا كانت هذه الجولات قد أفادت بعض الطلاب في الإحساس بتنظيم مبنى المكتبة من الداخل ، فإن انتباه البعض الآخر لا بد أن يتشتت خصوصاً إذا جاءت وقفتهم عند حافة المجموعة أو في المؤخرة . يضاف الى ذلك أن قيادة المجموعات داخل المكتبة تقلق الطلاب الآخرين الذين جاءوا للدراسة أو البحث ، وأن من الصعب على مجموعة كهذه أن يشاهد جميع أفرادها بطاقات درج الفهارس مثلاً ، كما أن صوت القائم بالشرح مهما بلغ من قوة لا يمكن سماعه بوضوح .

وإزاء هذا الوضع إجتمع عدد من أمناء المكتبات الجامعية بالولايات المتحدة لمناقشة جدوى تلك الجولات غير الصالحة والمضيعة للوقت ودراسة البدائل الأخرى ، ومن ثم قامت أول تجربة لبرنامج تعريف الطلاب بالمكتبة بطريق التلفزيون في شتاء عام ١٩٦٠ بجامعة (الليبنوي) . وقد أحس القائمون بالتجربة هناك أن البرنامج لا يمكنه أن يفيد في آن واحد المستويات الثلاثة : طلاب مرحلة البكالوريوس وطلاب الدراسات العليا وأعضاء هيئة التدريس ، وأنه يتعين تخصيص برنامج لكل فئة . كما لاحظوا أن فئة طلاب البكالوريوس وخصوصاً القادمين الى الجامعة لأول مرة تشكل جوهر المشكلة ، فالطلاب الجدد يذهلون أمام حجم مكتبة الجامعة ونظامها المعقد ، ويصابون بإحباط شديد منذ اليوم الأول لإحتكاكهم بالمكتبة فيقررون التعامل معها في أضيق الحدود . وقد أوضحت نتائج الإستبيان الذي أعد لهذا الغرض والذي وزع على أعضاء هيئة التدريس وأمناء المكتبات وطلاب الجامعة أنفسهم أن استخدام التلفزيون أفضل بمراحل من استخدام الوسائل الأخرى مثل الفيلم أو الجولات الموجهة أو الأدلة الصغيرة الشارحة . وهكذا قررت الجامعة في النهاية استخدام شريط « فيديو » ، حيث وجد أن انتاجه أقل تكلفة من الفيلم السينمائي ، كما يمكن اعادة تشغيله مرات ومرات حسب الحاجة وبثه مباشرة عبر محطة تلفزيون الجامعة في أوقات محددة .

وكان على اللجنة المختصة أن تضع قائمة بما ينبغي للبرنامج أن يتضمنه ، واتفقت الآراء على أن يشمل أنواعاً محددة من المعلومات وأن يركز عليها بدلاً من اعطاء الطالب نظرة شاملة على كل ما بالمكتبة . وفي أواخر عام ١٩٦١ عرض الشريط الذي استغرق عرضه ثلثي الساعة بصوت مدير مكتبة الجامعة . ورغم أن تصويره تم في استديوهات تلفزيون الجامعة ومكتباتها إلا أنه كان يحوي بعض الشرائح الفيلمية والرسوم البيانية الي توضح مختلف أقسام المكتبة والإجراءات المتبعة في استعارة الكتب وتحديد مواضع المعلومات وكيفية استخدام الفهارس والمراجع الأساسية والدوريات والمطبوعات الحكومية والتعريف بنظام الكتب المحجوزة .

ولقياس مدى كفاءة البرنامج التلفزيوني قامت الجامعة بعقد اختبار موجز يتألف من عشرة أسئلة لمشاهديه من الطلاب ، ومقارنة نتائجه بنتائج اختبارات زملائهم السابقين الذين قاموا بالجولات المكتبية ، ورغم أن الفروق لم تكن مذهلة إلا أن نتائج الإختبار كشفت للمسؤولين أن الطلاب قد حصلوا على نفس المعلومات التي حصل أقرانهم عليها بطريق الجولات ، ان لم تكن أكثر قليلاً .

وقد أدخلت الجامعة بعض التحسينات على البرنامج بعد تقييمه من جانب المختصين والطلاب ، وتحدد زمنه بثلاثين دقيقة فقط بعد اختصار التفصيلات الزائدة ، وأخذت الكاميرا تصول وتجول داخل المكتبة يصحبها الإلقاء أحياناً والصمت أحياناً أخرى . كما قامت الجامعة بإعداد كتيب ملي ء بالصور عن المكتبة ووزعته على جميع الطلاب ، وربطت بين نصوص البرنامج التلفزيوني وبين هذا الكتيب حتى إذا فات الطالب أو غفل عن أمر من الأمور أثناء المشاهدة تمكن من أن يجده فيه .

وهكذا أخذت التجربة التي قامت بنجاح في جامعة (اللينوي) تغزو الكثير من الجامعات الأمريكية ، وأثبت التلفزيون التعليمي جدارته الفائقة في التعريف بالمكتبة في زمن قياسي ، وخصوصاً في الجامعات ذات الأعداد الكبيرة من الطلاب ، كما تأكد للجميع أن هذه الوسيلة تفوق غيرها من الوسائل فيما يتعلق

بشرح الفهارس وبعض كتب المراجع . ومن حيث التكلفة تبين أن التلفزيون التعليمي أكثر الوسائل إقتصاداً . أما المشاكل التي تعترضه كتلك التي تتعلق بالمنهج أو اثارة الإهتمام فيمكن التغلب عليها عن طريق التخطيط المدروس والإعداد الجيد . إن التلفزيون التلعيمي بحق في خدمة مكتبات الجامعات الآن ومستقبلاً .

مَكتبَات بيُوت الطلبَة بالجَامِعَات

تعنى الجامعات في العصر الحديث بإنشاء بيوت أو وحدات سكنية لإيواء الطلاب والطالبات القادمين إليها من أماكن بعيدة . وقد لقيت فكرة إقامة مكتبات داخل هذه المساكن ترحيباً من جانب المشرفين على شئون الجامعات ومن أمناء المكتبات الجامعية على حد سواء ، فهم جميعاً يؤمنون بأن وضع مجموعة من الكتب في المكان الملائم يساعد الطالب على تعليم نفسه وتوسيع أفقه وإدراكه . يضاف الى ذلك أن الوصول بمجموعات الكتب إلى الطلاب في عقر دارهم يلعب دوراً عظيًما في تدريبهم على إستخدام المكتبات عموماً والمكتبة الجامعية بصفة خاصة . وبمرور السنين تزداد بيوت الطلاب في الجامعات بزيادة أعداد المقبولين بها ولما لها من أهمية في إستقرارهم النفسي وتحصيلهم العلمي وتنظيم أسلوب حياتهم بوجه عام .

وليس من السهل تحديد نشأة هذه المكتبات بدقة كافية ، لكن المعروف أن بيوت الطلبة قدم الجامعات نفسها . ويذكر أدب علم المكتبات أن بعض الجامعات الأوروبية والامريكية القديمة كانت تقيم مجموعات من الكتب داخل بيوت الطلبة وبيوت الأساتذة أيضاً ، وأنها كانت ذات طبيعة عامة وتغطي تشكيلة واسعة من الموضوعات . وفي الأزمنة التي لم تكن فيها مكتبات تلك الجامعات تسمح بإعارة الكتب ، اعتبرت هذه المجموعات كما لو كانت ملكية خاصة بالمقيمين في هذه البيوت .

ولعل أول جامعة غربية فكرت في إنشاء مكتبة نظامية في بيوت الطلاب هي جامعة « هارفارد» بالولايات المتحدة ، فقد أقامت أول مكتبة من هذا النوع في عام ١٩٢٨ ، وسرعان ما حذت حذوها جامعة « شيكاجو » في الثلاثينات بعد أن تأكد لها أن إنشاء مكتبة في مساكن الطلبة سوف يسهم في تنميتهم إجتماعياً وثقافياً وعاطفياً أيضاً . وهناك واحدة من هذه المكتبات أقامتها جامعة « برنستون» تعتبر نموذجية بحق حتى أنها أصدرت في عام ١٩٦٦ فهرساً مطبوعاً بما تملكه من مواد في مكتبات مساكن طلابها . وهكذا انتشرت تلك المكتبات في طول أمريكا وعرضها ، كما بدأت

تغزو الكثير من بيوت الطلبة في جامعات أوربـا الغربية ، وأصبحت مكتبة القسم الداخلي أو بيت الطلبة تمثل فرعـاً من فروع مكتبة الجامعة .

ومع إزدهار ونمو المكتبات الجامعية في القرن العشرين زادت الحاجة الى القراءة الترفيهية والاستطلاعية ، وأصبح تشجيع الطلاب على هذه القراءات من المهام الضرورية الملقاة على عاتق المكتبات الأكاديمية . وتشيد معظم الجامعات غرفاً مخصصة لها في مباني الكليات أو مبنى المكتبة المركزية للجامعة أو مبنى النشاط الطلابي أو أي مكان آخر . وكثيراً ما تخصص المكتبات الجامعية المركزية أركانا يجلس فيها الطلاب في استرخاء تام بينما يتصفحون أو يقرأون ما تقدمه لهم من كتب ومجلات تختارها بعناية لتناسب مختلفة الرغبات والأذواق القرائية ، بل أن بعض المكتبات الجامعية الامريكية يسمح للطلاب بتناول « السندويتشات » والمشروبات الخفيفة التي تقدم لهم في تلك الغرف أو الأركان من خلال ماكينات أعدت لهذا الغرض .

وتركز المجموعات الصغيرة في بيوت الطلبة على القراءة الترفيهية ، أما المكتبات التي تنشأ وسط مدينة سكنية للطلاب ، خصوصاً في الجامعات الكبيرة ، فتحتوي مجموعاتها على كتب المراجع الأساسية ، ونخبة من الدوريات العامة والصحف اليومية ، وبعض الكتب والمواد المطلوبة لأداء البحوث والتكليفات الدراسية ، بالاضافة إلى كتب القراءة الترفيهية من قصص وشعر وفكاهة وهوايات وكتب « علم نفسك » وغيرها من الموضوعات الشائعة والكتب التي تلقى رواجا بين أغلب القراء .

ويتوقف نجاح مكتبات بيوت الطلبة على حسن إختيار المجموعة التي تبدأ عادة بعدة مئات لكنها كثيراً ما تبلغ بضعة آلف من المجلدات ، فالمجموعات المختارة بعناية تضمن للطلاب أو للطالبات توازناً وتنوعاً يناسب مختلف إهتماماتهم وتخصصاتهم ، كما يوفر عليهم مشقة الذهاب إلى المكتبة المركزية التي لا تكون في العادة على مقربة من مدينتهم السكنية . ويفضل أن تزود المكتبة بفهرس بمواد المجموعة كما يفضل الاشراف الكامل عليها من جانب المكتبة المركزية التي تختار لها موظفين أكفاء .

وهناك عامل آخر في نجاح هذه المكتبات يعتمد بصورة خاصة على تجميع بيوت السكن في منطقة واحدة وعدم تناثرها في أماكن متفرقة من الحرم الجامعي ، فالمكتبة المثالية من هذا النوع هي التي تقام في مبنى مستقل يتوسط مساكن الطلاب أو التي تشغل جزءاً من المبنى الرئيسي لسكنهم . ولضمان حسن سير العمل بها يتعين على الجامعة تخصيص إعتمادات مالية كافية تغطي نفقات الاشراف عليها وشراء النسخ المكررة والمواد اللازمة لها دون أن ترهق ميزانية المكتبة المركزية الأمر الذي قد يدفعها الى التضحية ببعض الخدمات التي تؤديها .

أما المكتبات الجامعية التي لا تملك أموالا كافية للصرف على مكتبات بيوت الطلبة فأمامها أحد خيارين : اما أن تنشىء مجموعات صغيرة في كل مسكن على حدة بحيث يتراوح عدد كل مجموعة بين خمسين ومائتي مجلد ، ولن تحتاج في هذه الحالة إلا الى متطوعين من بين الطلاب للاشراف عليها ، أو تقيم لهم مكتبة واحدة في موقع متوسط تزودها بما لديها من نسخ الهدايا المكررة أو الطبعات الرخيصة مع أدنى درجات الاشراف والملاحظة .

إن الهدف الأساسي من مكتبات بيوت الطلبة هو جعل الكتب في متناول أيديهم حتى تشجعهم على القراءة . وقد تغير محتوى هذه المكتبات في السنوات الأخيرة نتيجة تغير مفهوم ما ينبغي أن تكون عليه القراءة بالنسبة لهم ، فبالاضافة الى المجموعات التقليدية من الكتب والدوريات يقوم بعضها الآن في أوربا والولايات المتحدة بحيازة وإعارة المواد السمعية والبصرية كالاسطوانات المسجلة والأشرطة واللوحات الفنية المصورة . ومن المتوقع في المستقبل أن تزداد هذه المكتبات وتنمو تدريجياً لتشمل مجموعة أوسع من المواد .

تبادل المطبوعات دوليًّا

ينتشر تبادل المطبوعات على المستوى الدولي في عصرنا الحاضر على نحو واسع ، كما تشير الدلائل إلى ميله المتزايد في النمو والانتشار إلى حدود أبعد . وتبادل المطبوعات مبنى أساسا على تقاليد قديمة تعود إلى بضعة قرون خلت . وإذا كان من الممكن تتبع آثاره في العصور الوسطى وعصر النهضة ، فإن التبادل الدولي للمطبوعات في شكله الحالي قد ولد خلال القرن الثامن عشر الميلادي ، كما ترتبط مراحله الأولى إرتباطاً وثيقاً بظهور وإنشاء الجامعيات والمؤسسات العلمية .

وكان للتقدم الملحوظ في البحث العلمي وللزيادة في نشر المطبوعات العلمية وخاصة الدوريات أثر بالغ في تقوية علاقات التبادل بين المؤسسات والمنظمات . وبمضي الزمن برز الى الوجود إتجاه واضح إلى احداث توازن بين قواعد وأهداف التبادل ، على أساس من الاتفاقات الثنائية بين المعاهدة العلمية أو بين الدول ، مما أدى في النهاية الى تسوية شاملة على نطاق العالم كما عبرت عن ذلك مؤتمرات (بروكسل) في عام ١٨٨٦ . وعلى ضوء الظروف والأوضاع التاريخية وقتذاك لم تسفر تلك المؤتمرات عن حل دائم للمشاكل القائمة في التبادل ، وعلاوة على ذلك كانت هناك مساعي لاتخاذ قرارات رسمية ملزمة لجميع الدول من خلال الحلقات والمؤتمرات التي عقدت منذ ذلك الحين ، غير أنها باءت بالفشل ، ورغم ذلك فقد تمكنت من اضرام نار المناقشة وترسيخ المبادىء الأساسية للتبادل .

وعقب الحرب العالمية الثانية أخذت جميع الدول في القارات الخمس بمبدأ التخصص الذي بلغ أحياناً حدوداً ضيقة جداً في مجال علمي معين . وواكب تطور العلوم وتقدم التكنولوجيا ارتفاع في أعداد الباحثين المتخصصين ،وزيادة ضخمة في مراكز ومعاهد البحوث ، وتعدد في وسائل نقل الأفكار والمعلومات العلمية المتعلقة بنتائج الأبحاث ، كما لوحظ إتجاه نحو تعاون دولي وطيد في شكل إتصالات ثنائية وجماعية ، واقتضى ظهور دول جديدة على خريطة العالم تشكيل حياتها العلمية من البداية . لكل هذه العوامل زاد الاهتمام بالتبادل الدولي للمطبوعات في الربع

الاخير من القرن العشرين . ولما كان التبادل يمثل صورة من صور تزود المكتبات بالمطبوعات واستكمال مجموعاتها فان اهتمامها بتنميته وتطويره يغدو أمراً جلياً واضحاً .

والحق أن « يونسكو » لم تأل جهداً في هذا المضمار ، فقد كان لهذه المنظمة العالمية قصب السبق في عقد الاجتماعات والمؤتمرات الدولية ، كما خصصت جانباً لا بأس به من مطبوعاتها للمشكلات ذات الصلة بالتبادل. وقد آتاح ذلك فرصة تحديد المفاهيم،كما أثمر عن مؤتمرين عقداً في (باريس) في عام ١٩٥٨ ومؤتمر آخر في (فيينا) في عام ١٩٧٢ قدمت فيها الحلول العلمية الممكنة لمشاكل التبادل الدولي للمطبوعات .

ولا شك في أن الدور الذي يلعبه تبادل المطبوعات في المكتبات ومنزلته بين المصادر الأخرى لتكوين واستكمال المجموعات يعتمدان على عوامل عدة لعل من أبرزها ما يقوم على التساؤلات الآتية :

١ ـ ما هي طبيعة المطبوعات التي يمكن للمكتبة التصرف فيها بطريق التبادل الدولي ؟

ب ـ ما الذي يمكن أن تتلقاه المكتبة من الخارج في مقابل هذه المطبوعات ؟

جـ ـ هل ما تتلقاه المكتبة بطريق التبادل يكفي مطالب رواد المكتبة ؟ وإلى أي مدى ؟

تلك هي الأسس العامة التي تهم المكتبة الواحدة كما تهم أي مجموعة من المكتبات أو حتى كل المكتبات في الدولة الواحدة .

على أن الذي يقرر قيمة التبادل هو المستوى العلمي للمطبوع المطروح للتبادل وموضوعه وكذلك اللغة التي ينشر بها . لذلك كلما ارتفعت قيمة المطبوع من حيث المحتوى وكلما كانت اللغة التي كتب بها سائدة في عدد من الدول ، كلما زاد الاقبال عليه . والأمثلة على ذلك كثيرة . يكفي أن نعرف مثلا أن أكاديمية العلوم في بولندا

تصدر مطبوعاً علمياً يشرف على تحريره معمل الأحياء المائية التابع لها ، ويقوم المعمل بتبادل هذه المطبوع الدوري مع أكثر من ٤٠٠ هيئةأجنبية تماثله في التخصص ، ويحوي مقالات مكتوبة باللغة الانكليزية والألمانية الى جانب البولندية ، فماذا تحصل عليه مكتبة معمل الأحياء المائية في المقابل ؟ إنها تتلقى ١٩٤ دورية علمية من دول أخرى بصفة منتظمة بالاضافة إلى ما يقرب من ٤٠٠ كتاب سنوياً . بقي أن تعلم أن هذه المكتبة لا تشترك إلا في ٥٠ دورية أجنبية فقط ، وأن ثلاثة أرباع العاملين بالعمل يكتفون بما يدره عليهم التبادل الدولي للمطبوعات .

ومما هو جدير بالذكر أن عمليات تبادل المطبوعات دولياً يمكن أن تتم اما بأسلوب مركزي أو لا مركزي . ففي الحالة الأولى توضع جميع الأمور في يد مركز توزع واحد يقوم مركزياً بمد تشكيل مكتبي كامل بالمطبوعات التي يحصل عليها بطريق التبادل، آخذاً بعين الاعتبار الاحتياجات الخاصة بالمكتبات التي يمثلها ، كما يأخذ المركز على عاتقه مهمة اختيار الشركاء المناسبين ، ونوع وحجم الاتفاقات ،والمحتوى الموضوعي لمواد التبادل . أما في الحالة الثانية، أي التبادل اللامركزي ، فإن حرية التصرف تمنح للمكتبات ، ويسمح لها أن تتولى بنفسها عمليات التبادل بما يلائم ظروفها واحتياجاتها . وقد يتواجد الأسلوبان المركزي واللامركزي معاً في تشكيل تنظيمي واحد ، كما هو حادث بالفعل في أكاديمية العلوم البولندية التي يتولى مركز توزيعها تبادل المطبوعات العامة للأكاديمية بالاضافة إلى التبادل الذي يتم عن طريق مكتبات المعاهد والمعامل التابعة لها .

ولكل من الأسلوبين المركزي واللامركزي في التبادل الدولي مزايا ومساوىء . فالنظام المركزي مثلا يتيح إمكانات تنسيق أنشطة التبادل ويعمل على تسهيل إتمام الاتفاقيات، والمعروف أن التعامل مع موزع واحد أسهل بكثير من التعامل مع عدد كبير من الأطراف المتعاقدة. ومن ناحية أخرى فإن النظام المركزي معرض لأن تسير جهوده في روتين بيروقراطي معقد ، والأهم من ذلك أنه بعيد فعلا عن الممارسات اليومية لأعضائه من المكتبات فلا يستطيع بالتالي أن يدرك بوضوح سياسات هذه المكتبات في جمع المطبوعات .

أما التبادل اللامركزي فله حسنات لا يرقى اليها الشك ، فمن حسناته الانتقاء

الأفضل للشركاء والاختيار الأنسب للمواد الأجنبية والاستكمال السريع للأجزاء الناقصة من مواد المكتبة . ومن مزاياه ايضا إقامة الاتصالات الدائمة مع الشركاء الأجانب والتعاون الأوثق بين أمناء المكتبات وبين العلماء والباحثين العاملين في نفس المؤسسة . فالتبادل الدولي للمطبوعات باعتباره شكلا من أشكال التعاون العلمي العالمي ، هو بالتأكيد أقل في الرسميات ويحتاج أكثر الى العمل المباشر ، لذلك تعظم فائدته إذا كان يعتمد على تعاون حميم بين الأفراد والهيئات ذات الاهتمام المشترك. ورغم ذلك فإن اللامركزية في التبادل لها بعض العيوب، من بينها الانصرافية والتشتت وعزل القضايا والمشاكل عن الرؤساء وانتهاج سياسة تتصف بالعمومية . أما إذا قصد باللامركزية أن تؤتى ثمارها فيجب أن يكون هناك نوع من التنسيق المركزي ، فلا توجد مكتبة واحدة في عالم اليوم يمكنها أن تعمل في انعزال أو استقلال تام .

ويمكن لهذا التنسيق المركزي أن يتخذ أشكالاً مختلفة ، كأن يتم في اطار قطاع تنظيمي أو في بيئة اقليمية واحدة أو بين مجموعة من المكتبات تملك مجموعات مماثلة في فرع التخصص . وفي حقل المكتبات تتداخل أشكال التنسيق الثلاثة وتتشابك مع بعضها البعض ، فكل مكتبة تمارس نشاطها في اطار قانوني تنظيمي ، وفي بيئة محددة ، وأغلب المكتبات يميل إلى التخصص في واحد أو أكثر من ميادين العلم . ويتطلب التعاون بين المكتبات إبرام اتفاقيات متعددة الأطراف فيما يختص ببناء المجموعات ومن ثم بالتبادل الدولي للمطبوعات . ولا غنى عن هذه الاتفاقيات اذا نظرنا إلى التبادل باعتباره عنصراً أساسياً في تحقيق سياسة رامية إلى اثراء مجموعات المكتبات .

والتبادل ليس صفقة تجارية بحتة ، ففي النشاط التجاري يكون التركيز على القيمة المادية للكتاب وعلى الكسب المادي ، أما في التبادل فان محتوى الكتاب أو الدورية عامل- هام- حاسم . لذلك ليس الكسب وإنما التبادل المشترك للمعلومات العلمية هو ما يحتل مركز الصدارة هنا . وليس من المهم لتطوير العلوم بأي طريقة يتم تلقي المطبوعات الأجنبية ولا خلال أي مسلك تتغلغل آداب العلوم الأجنبية في

قطر ما ، فقد سبق أن أعلن «هنري برجسون» في المؤتمر الدولي لأمناء المكتبات في (براج) عام ١٩٢٦ أن الذي يعطي أكثر مما يتلقى في مجال تبادل المطبوعات لا يتحمل أي خسارة ، ذلك أنه ينشر أفكاره ويبث مشاعره ويوسع نطاق وجوده الشخصي .

عصر المعلومات ومدارس المكتبات

نحن نعيش اليوم عصراً جديداً. . عصر تحديات جديدة ومهن مستحدثة. . عصراً سيخلف آثاراً عميقة في جوهر مجتمعنا وبنائه، تماماً كما فعل عصر الحديد أو الثورة الصناعية. . عصراً يحتاج الى مهارات خاصة لم نكتشفها الا مؤخراً. . هذا العصر أسمه عصر المعلومات.

وعصر المعلومات هذا قد أظهر لنا من التحديات ما يستطيع أخصائيو المعلومات المدربون مواجهته بايمان وثقة. ومدارس المكتبات والمعلومات تفهم هذا العصر جيداً وتدرك مشاكله ودلالات نجاحه وتقوم بواجبها كمصدر أساسي لتوليد الخبرات اللازمة للعديد من المهن والوظائف الجديدة، فالمؤسسات من كل حجم وفي كل مجال تحتاج الى أشخاص يمكنهم استخدام وترويض المعلومات.

قد يكون من الملائم أن ننظر الى ما حولنا وأن نسجل التطورات التي تشكل عالمنا الجديد، فماذا نرى؟ لقد أصبحت المعلومات اليوم مثل عجلة قيادة جديدة تتحكم في طريقة عملنا وتعاملنا وكيفية قضاء أوقات فراغنا، فالحصول على المعلومات وحفظها واستخدامها كل ذلك يؤثر في أسلوب تفكيرنا في العالم المحيط بنا. ولنأخذ بلداً كالولايات المتحدة مثلا، فماذا نجد؟ في عام ١٩٥٠ كان نصف العاملين بها يشغل وظائف تتركز حول السلع المصنعة، فالناس وقتها اما كانوا يصنعون السلع أو يعالجونها بسلسلة من العمليات المتعاقبة أو كانوا مشغولين بتوزيعها. أما اليوم فقد تغير الوضع كثيراً وأصبح نصف القوى العاملة بها، أي ما يقرب من ٤١ مليونا من البشر، يعمل في استخراج ومعالجة وتوزيع المعلومات. ويقدر عدد محطات استقبال المعلومات فيها بحوالي مليوني محطة تتصل اتصالاً مباشراً بحوالي ٦٠٠،٠٠٠ حاسب آلي (كمبيوتر)، وتحتفظ حكومة الولايات المتحدة بما مقداره ٣،٨ مليار من السجلات عن أبنائها، ومعنى ذلك حسابيا أن لديها ١٧ سجلاً أو ملفاً لكل فرد رجلاً أو إمرأة أو طفلاً.

وتظهر كل عام ملايين الكلمات في بضعة آلاف من الكتب والمجلات

والصحف لتلقي اهتماماً من جانب العلماء والمتخصصين والمستهلكين للسلع أيضاً. وتعتمد الشركات والمؤسسات على المعلومات في احاطة صانعي القرارات يوماً بيوم بالعمليات الجارية والتطورات الأخيرة التي تؤثر في السياسة الانتاجية. أن عصر المعلومات يعني باختصار أن محور النشاط الانساني يدور في فلك توزيع المعلومات بدلاً من انتاج السلع المادية. ويزداد هذا العصر نمواً في تركيبه وتعقيده يوما عن يوم، فالعلم والتكنولوجيا ومجتمع الأعمال والتجارة والقضاء والصحافة والحكومة والفنون... كل هؤلاء يسهمون في تنمية المعلومات.

والمعلومات حافز قوى له سطوته، ففي مختلف المجالات يتحقق التقدم ويتطور الانتاج وتتجدد المعرفة بفضل الحصول السهل على أحدث المعلومات. وكلما ازددنا معرفة كلما اشتقنا للحصول على المزيد من المعلومات الصحيحة. ومعرفتنا كمستهلكين عن السلع والخدمات تلعب دوراً حيوياً في اختيار ما نشتريه.. وهكذا نجد أنفسنا كل يوم نمارس اختيارات تقوم أساساً على ما نعرفه ،لكننا رغم ذلك لا نتمكن من استيعاب ذلك السيل الفياض من المعلومات التي تغمرنا، لأن المعلومات في حاجة الى تنظيم حتى تصبح أداة نافذة المفعول. فالموظف الاداري الكبير في أحد البنوك على سبيل المثال يضطر الى رؤية نحو ١٣٠،٠٠٠ قطعة معلومات سنويا، وهذا يعني أن حصيلة المعلومات لدى ذلك الاداري تساوي آلاف الرسائل وعشرات التقارير ومئات المذكرات كل عام. والعالم الذي يعمل في أحد المجالات الرائدة كالكيمياء الحيوية يحتاج الى قراءة مئات المقالات العلمية والاطلاع على مجموعة مذهلة من نتائج البحوث. وتعد السيطرة على انفجار المعلومات على هذا النحو التحدي الأول لعصر المعلومات.

ومتى تم انشاء المعلومات فالخطوة التالية هي الحصول عليها وتنظيمها حتى نجد نحن والأجيال القادمة سبيل الوصول اليها. والمعلومات مادة خام يمكن أن يحولها ذكاء المرء الى قرارات واكتشافات والى أحلام في بعض الأحيان. واذا كان الحصول على المعلومات وحفظها وتنظيمها من المهام الضرورية فان القيام بهذه المهام بكفاءة ونجاح من أعقد الأمور، فيجب أن تصمم أساليب الحصول على المعلومات وحفظها واسترجاعها بما يكفي احتياجات المجتمع على اختلاف قطاعاته.

ان الادارة السليمة للمعلومات تتطلب أعداداً من المؤهلين المدربين على مهارات على درجة عالية من التخصص، تدفعهم الى ذلك رغبة ملحة في جعل عصر المعلومات عصر تعاطف وتفاهم. ان هذا العصر في حاجة الى نوع جديد من المتخصصين ممن درسوا علم المعلومات ومشكلاته. انه يحتاج بالضرورة الى أفراد ذوي حساسية شديدة لاحتياجات الناس من المعلومات، لذلك يزداد تقدير المجتمع لهذا المتخصص الجديد الذي يطلق عليه «أخصائي المعلومات» أو«مدير المعلومات» أو «مستشار المعلومات» كما يزداد ادراكه بالدور الحيوي الذي يؤديه.

ولا يأتي عصر المعلومات بالتحديات والتغييرات فحسب وانما بالفرص أيضاً، فمجالات العمل مفتوحة بلا حدود أمام هؤلاء الأخصائيين الجدد سواء في المكتبات المتخصصة أو في مجال بحوث التسويق أو مشاريع وخطط الحكومة أو في ميادين الاعلام والصحافة والنشر والطباعة والمقاولات. ان التعامل في حقل المعلومات عالمي بطبيعته، فتبادل المعلومات والأفكار لا يتأثر بالعوائق والحواجز مادية كانت أو لغوية.

وقد قبلت مدارس المكتبات والمعلومات المنتشرة في دول الغرب والتي تزحف حثيثاً الى عالمنا العربي هذا التحدي الكبير، وأخذت على عاتقها تدريب طلابها على المهارات اللازمة لهذا العصر الجديد، ووضعت البرامج الشاملة لتخريج المتخصصين في هذا المجال ومن بينها الحصول على المعلومات وطرق حفظها وتنظيمها ابتداء بالتقارير السنوية وانتهاء بمراكز وشبكات المعلومات ومروراً بالكتب المطبوعة وشرائط «الفيديو» والسجلات الاحصائية والعلمية وغيرها، كما تقدم دراسات عن التكشيف والتلخيص واسترجاع البيانات.

ان حجر الزاوية في اعداد المتخصصين في مجال المعلومات هو الإيمان بأن كل فرع آخر من فروع المعرفة له أهميته، فعلوم المكتبات والمعلومات تخدم كل الميادين بما تحفظه من سجلات منجزاتها وبتيسير الحصول عليها وتنظيمها بطرق معقولة، وفي ذات الوقت تستفيد من التقدم التقني في المجالات الأخرى لكي تقدم للناس خدمة أفضل.

حَاجَةُ المَكتبَاتِ إلى أُمَنَاءِ المَعلومَاتِ

يحتاج كل انسان في أوقات مختلفة الى نوع أو آخر من المعلومات. والكثير من المعلومات من النوع الذي يحتاجه الانسان كل يوم ويمكن الحصول عليه بطريق وسائل الاتصال المعروفة كالصحف والاذاعة والتلفزيون أو من الناس الآخرين. وكلما كان عمل المرء فكرياً كلما زادات حاجته إلى المعلومات. ويحصل الناس على بعض المعلومات من المكتبات، ومع ذلك لا يذهب كل الناس إلى المكتبات للحصول عليها، ففي بعض المهن تقام أنظمة أخرى معقدة لتزويد العاملين بالمعلومات. وتزداد الحياة العصرية في التعقيد، وتزداد بالتالي الحاجة الى المعلومات كما يزداد حجمها وتتنوع وسائل تقديمها للناس.

وقد تعود الانسان على أن يجد المعلومات في الكتب والمجلات المطبوعة، لكن الأمر بدأ الآن يتغير، فالمسجلات الصوتية وتسجيلات «الفيديو» وغيرها أصبحت شائعة، ولن يمر وقت طويل حتى تشق شرائط «الفيديو» طريقها الى معظم المنازل، سواء للترفيه أو التعليم. وكما أن هناك انفجاراً في المعلومات المطبوعة سوف نجد أنفسنا قريباً أمام انفجار في أشكال أخرى من المعلومات المسجلة.

وللتغلب على مشكلة ايجاد ما نريد وسط أكوام متزايدة مما لا نريد فان أنظمة المعلومات تتفجر هي الأخرى، ففي كل شهر تظهر كشافات جديدة ومستخلصات ونشرات لم نسمع بها من قبل، ويوماً بعد يوم تتغذى أجهزة «الكمبيوتر» على المعلومات التي تحشر فيها بغرض الاسترجاع، كما يرتفع مقدار ما يسجل منها على المصغرات الفيلمية. وسوف نكون سعداء الحظ حقا أن استطعنا بعد مضي بضع سنوات الحصول على معلومات يمكن قراءتها بالعين المجردة دون الاعتماد على مساعدة «آلية» من أي نوع، فأغلب الظن أنهاستتوفرفقط من خلال «الكمبيوتر» أو المصغرات أو كليهما. وان شئنا الحقيقة فان معلوماتنا عن كيف نضبط المعلومات تسير بخطى أسرع من تلك التي نسعى الى ضبطها.

وتشير بعض الدارسات إلى أن الناس يبذلون الحد الأدنى من الجهد للحصول على المعلومات. وهذه وإن كانت حقيقة مؤسفة إلا أننا يجب

أن نتقبلها على أنها حقيقة قابلة للتعديل بزيادة الدوافع عند الناس أو بتسهيل استخدام أدوات البحث عن المعلومات. أما أن نزيد الدوافع فهذا أمر عسير، فالمعروف أن بعض الفئات يمكن حثها على الحصول على المعلومات لكنها مع ذلك تتلكأ أو تتحاشى استخدام أدوات البحث الأساسية. ولا هو بالأمر اليسير آن نعمل على تسهيل استخدام أدوات البحث، فهذا يستلزم اعادة تنظيمها وربما تصميم أنواع أخرى جديدة من هذه الأدوات. ويبدو أننا لن نتمكن في أحسن الأحوال من الحصول على نتائج سريعة في هذا الشأن.

ولأن معظم المعرفة قد دوّن الى وقت قريب في شكل كتب، ولأن الكتب تحفظ في المكتبات، لعبت المكتبة دوراً هاماً كاحدى وسائل الاتصال. ورغم ذلك فان الوضع في سبيله الى التغير أما بسبب ظهور وتطور وسائل الاتصال الأخرى، أو لأنه أمكن اغفال المكتبات بطرق مختلفة، منها أن القارىء العادي أصبح يستطيع شراء الكتب وخاصة المغلفة أي غير المجلدة بأسعار زهيدة، وأن الباحث في استطاعته اليوم «استئجار» خدمات الاسترجاع الآلي من المؤسسات المختصة. لذلك فقد آن الأوان لمديري المكتبات وأمنائها أن يحددوا نظرتهم اليها، أما باعتبارها وسيلة ملائمة لتخزين ذلك الشكل من المعرفة المدونة ـ أي الكتب ـ أو باعتبار أن الكتب تحوي معلومات وأن الوظيفة الأولى للمكتبة كوسيلة اتصال هي الاهتمام بكل أشكال المعرفة، المدون منها وغير المدون. وفي اعتقادي ان المكتبات اذا قصرت مجالها على الكتب والمطبوعات فانها بذلك تحكم على دورها بالضعف والهزال ان لم يكن بالتلاشي والزوال.

وقد حاولت المكتبات في الماضي كما تحاول اليوم حل مشكلة زيادة الدوافع وتسهيل استخدام أدوات البحث بجعل القراء يألفون هذه الأدوات، على أمل أن الألفة سوف تؤدي الى سهولة الاستخدام، وربما تؤدي كذلك الى الاستمتاع ومن ثم الى زيادة الدوافع. لكن الهدف الحقيقي لأي مكتبة هو أن ترى قراءها يحصلون بالفعل على المعلومات التي يريدون، لذا فاننا نستطيع أن نساعدهم على ذلك دون تعليم. فعندما يرغب الانسان في الذهاب الى أي مكان بسرعة فانه يطلب أحدى سيارات الأجرة وفي الوقت نفسه لا يتوقع أو يتوجب عليه معرفة قيادة السيارة، ورغم

ذلك قد لا يتمكن الانسان دائما من طلب سيارة الأجرة ، أو قد لا تتوفر احداها عند الحاجة، أو قد تكلفه كثيرا، أو أنه قد يرغب في التحكم في تنقلاته بالطريقة التي يراها، فمن المفيد اذن أن يتعلم الانسان كيف يسوق حتى يصل الى هدفه في كل الأحوال سواء أكان هو السائق أو المسوق. وقد قصدت بهذا التشبيه أن استخدام أدوات البحث كالقيادة تماماً، يقوم كل منهما على المهارة العملية، تلك المهارة التي يكتسبها الانسان بطريقة الممارسة وليس بطريق التعلم.

وتنفق المكتبات وقتاً طويلاً وجهداً ملموساً في سبيل تعليم روادها كيف يستخدمون المكتبة، وذلك من خلال المحاضرات والحلقات الدراسية والأدلة الارشادية الشارحة والوسائل السمعية والبصرية. ومن الأجدر للمكتبات أن تنفق ذلك الوقت وتلك الجهود في تصميم فهارس سهلة الاستعمال، فالفهرس الذي يجد القراء صعوبة في استعماله يجب أن يهتم أصحاب الشأن بجعله ميسوراً ، والمكتبة التي يتعذر ايجاد شيء فيها ينبغي أن تبحث عن سبل تسهيل ايجاد ما بها. والمعروف ان المكتبات المدرسية والجامعية قد تستفيد من القاء بعض المحاضرات على طلابها في تدريبهم على استخدامها بأن تجعل هذه المحاضرات اجبارية على جميع الطلاب، ولكن ماذا تفعل المكتبات العامة والمتخصصة في هذا الشأن؟ أنها لا تفعل شيئاً من ذلك على الاطلاق، معتمدة على أن روادها قد تعلموا طرق استخدام المكتبات منذ أيام الدراسة في الجامعة أو المدرسة.

هنا يأتي دور أمين المعلومات، فالكل يعرف أمين المراجع الذي تنحصر مهمته في الاجابة على الأسئلة والاستفسارات، أما أمين المعلومات فوظيفته الأساسية أن يتأكد من وصول المعلومات الى القراء الذين يبحثون عنها. انه عادة متخصص في مجال أو موضوع معين. انه يحاول الوصول الى القارىء شخصياً على عكس أمين المراجع الذي يجلس في انتظار خلف مكتبه. ان اهتمامه ينصب أولاً وأخيراً على القراء وطرق افادتهم وارشادهم.

وتبين الدراسات أن أنظمة المعلومات التي تزداد تعقيداً كل يوم لا تفيد سوى الباحثين المثابرين، وأنهم مع ذلك يجدون صعوبات جمة في استعمالها. وتؤكد هذه

الدرسات أيضاً على أن القراء والباحثين الذين تدربوا فعلاً على استعمالها لا يجدون الوقت على الأرجح لاستعمالها بكفاية. لذلك من الأفضل أن يتولى المهمة شخص مدرب مثل أمين المعلومات نيابة عن الباحث. وقد تفيد هذه الملاحظة في تطوير أنظمة المعلومات مستقبلا، لأننا اذا سلمنا جدلا بأن الاستخدام الأمثل لهذه الأنظمة يحتاج عادة الى وسيط، فمعنى ذلك أن استخدامها لن يقتصر على المتخصصين فقط، أما اذا أريد لها الاستعمال من قبل أي شخص فلا مفر من اعادة تصميمها بشكل جوهري. أما في الوقت الراهن فان هذه الأنظمة لا تزال مترددة في اختيار أحد المسلكين، فلا هي سهلة الاستخدام ولا هي تستغل التقدم التكنولوجي أو الببليوجرافي الحديث كما ينبغي.

وهناك نقطة أخرى لصالح أمناء المعلومات، هي أن القراء بطبيعتهم يميلون إلى عدم التمسك بالشكليات، فلو خيّروا مثلاً بين استشارة مجموعة من المستخلصات وبين أسؤال شخص ما، لفضل معظمهم سؤال الشخص. لذلك من الانسب أن توجه الأسئلة والاستفسارات لأمين المعلومات الذي بوسعه عن طريق اختلاطه بالرواد ليس فقط أن يجيب على اسئلتهم وانما أن يتوقعها أيضاً. وأمين المعلومات يوفر قدراً كبيراً من مرونة العمل في المكتبة، فأي سؤال يجب أن يصاغ بطريقة معينة حتى يمكن الاجابة عليه من الأدوات التقليدية للبحث عن المعلومات، أما أمين المعلومات فيمكنه تفسير السؤال بسهولة واعادة تنظيمه وصياغتهبحيث تأتي الاجابة عليه من الأدوات في زمن قياسي. ومسألة تفسير الأسئلة واعادة بنائها تحتاج الى مهارة عالية ومعرفة قوية برواد المكتبة، ولهذا السبب فان أمين المعلومات الذي يتعامل مع عدد محدود نسبياً من الناس في وضع أفضل بكثير من أمين المراجع الذي يجلس خلف مكتبه وأمامه حشد كبير من الرواد لا يتجهون اليه الا أحياناً قليلة أو مصادفة. وفوق ذلك كله فإن أمين المعلومات يستطيع أن يستميل القارىء الذي لا يروق له استخدام المكتبة، فنحن نعلم أنه ليس من الضروري احضاء الفرس إلى الماء ليشرب وإنما الاسهل أخذ الماء إلى الفرس

ان الحاجة الى أمناء للمعلومات تزداد يوماً عن يوم، فتلك هي الفئة التي تستطيع تقديم خدمات مباشرة لرواد المكتبات. وليس في الامكان قياس القيمة الحقيقية لهذه الخدمات ولا التعبير عن فائدتها أو نفعها بلغة المال، لكن الثابت والمؤكد أن المكتبات التي استعانت بأمناء المعلومات قدحققت وفراً كبيراً من وقت القراء والباحثين. وإن كانت الحاجة إلى مثل هؤلاء الأمناء قد بدأت تظهر بالفعل في أنواع معينة من المكتبات كالجامعية والمتخصصة فسوف يأتي الوقت الذي تعم فيه خدماتهم لتشمل جميع أنواع المكتبات فسوف يؤدي التركيز على خدمات المعلومات إلى ظهور مكتبات تختلف في الأساس والجوهر عن معظم المكتبات القائمة في عالم اليوم، فالخدمة المكتبية تتألف أساساً من خدمة للمعلومات، وأمناء المعلومات هم البديل لتدريب القراء على استخدام المكتبات والانتفاع بها، ذلك أن القراء يتدربون على أيديهم في الوقت الذي يقومون فيه باستعمال المكتبة.

مِن أقوالهم عَن الكُتُب وَالقِراءَةِ

ـ الكتاب الكبير شر كبير.

كاليماخوس

(٣١٠ ق. م.؟ - ٢٤٠ ق. م.؟)

ـ ليس هناك كتاب رديء إلى الحد الذي يتعذر علينا أن نستخلص منه شيئاً ذا قيمة.

بلينيوس

(٦٢ م. - ١١٣ م.)

ـ عندما يجتمع لدي مبلغ بسيط من المال فإني أشترى الكتب، وإذا تبقى منه جزء بعد ذلك، فعندئذ أشترى الطعام والملبس.

أيرازموس

(١٤٦٦؟ - ١٥٣٦)

ـ اقرأ. . لا لكي تعارض أو تعترض، ولا لكي تثق أو تصدق، ولا لكي تجد مجالاً للحديث أو المناقشة. . وإنما اقرأ لكي تزن وتتأمل.

ـ بعض الكتب للتذوق، وأخرى للإلتهام، والبعض القليل للمضغ والهضم.

ـ تنطق الكتب بصراحة عندما تخبو قرائح الحكام.

ـ على الكتب أن تتبع العلوم، لا أن تتبع العلوم الكتب.

فرانسيس بيكون

(١٥٦١ - ١٦٢٦)

ـ يمكنك أن تتوقع أن يشتد عودك بمداومة الأكل، وأن تزداد حكمة بمداومة القراءة. . فالتفكير وهضم ما تقرأه هما اللذان يجعلان الكتب نافعة ويمنحان الذهن صحة وحيوية.

توماس فوللر

(١٦٠٨ - ١٦٦١)

ـ الذي يدمر كتاباً جيداً كالذي يقتل رجلاً. . فالذي يقتل رجلاً يقتل مخلوقاً عاقلاً، أما الذي يدمر كتاباً جيداً فإنما يقتل العقل ذاته. . في الصميم.

جون ملتون

(١٦٠٨ - ١٦٧٤)

ـ ذلك الذي لم يحب الكتب قبل أن يبلغ الثلاثين من عمره سوف يواجه فيما بعد صعوبة بالغة في حبها بدرجة تكفي لفهمها.

ايرل أوف كلارندون

(١٦٠٩ - ١٦٧٤)

ـ يجب أن تؤدي الكتب إلى إحدى أربع غايات: الحكمة أو الورع أو البهجة أو النفع.

سير / جون دينام

(١٦١٥ - ١٦٦٩)

ـ إن آخر شيء نكتشفه عند تأليف كتاب. . أن نعرف ماذا نكتب في المقدمة.

بليز باسكال

(١٦٢٣؟ - ١٦٦٣)

ـ اختر مؤلف الكتاب كما تختار صديقك.

ايرل أوف رسكمون

(١٦٣٣ ؟ ــ ١٦٨٥)

ـ عندما يشتري المرء كتاباً لا لسبب إلا أنه من إصدار ناشر معروف فهو كالشخص الذي يشتري ثياباً لا تناسبه ولكنها من صنع خياط مشهور.

وولتر بوب

(١٦٤٨؟ - ١٧١٤)

ـ الكتب هديٍ في الصغر ومتعة في الكبر. . إنها تساندنا في الوحدة وتحفظنا من أن نصبح عبئاً على أنفسنا، وتعيننا على نسيان معارضة الآخرين، وتقلل من همومنا وآلامنا، وتطرح عنا خيبة الأمل.

جيريمي كولليز
(١٦٥٠ ـ ١٧٢٦)

ـ لو وضعت كل تيجان أوروبا تحت تصرفي على أن أتخلى عن كتبي ودراساتي، لركلت التيجان ووقفت بجوار كتبي.

فرانسوا دي فينيلون
(١٦٥١ ـ ١٧١٥)

ـ بعض الكتب كمدينة لندن يجدر بها أن تحرق.

توم براون
(١٦٦٣ ـ ١٧٠٤)

ـ الكتب مثل البشر، لا يملك مؤلفوها سوى وسيلة واحدة للمجيء إلى هذا العالم، في حين أن هناك عشرة آلاف وسيلة للخروج منه بلا عودة.

جوناثان سويفت
(١٦٦٧ ـ ١٧٤٥)

ـ تفعل القراءة للذهن ما تفعله الرياضة للجسد.

سير / ريتشارد ستيل
(١٦٧٢ ـ ١٧٢٩)

ـ هناك نوع من الفراسة في عناوين الكتب لا يقل عن التفرس في وجوه الناس. . فيه يعرف الملاحظ الحاذق ما يتوقعه من كليهما.

ب. بتلر
(١٦٩٢ ـ ١٧٥٢)

ـ نحن معرضون لأن تفسدنا الكتب كما يفسدنا الرفاق.

هنري فيلدنج

(١٧٠٧ - ١٧٥٤)

ـ على المرء أن يقرأ ما تقوده إليه ميوله، لأن ما يفرض عليه من قراءة لن يفيد كثيراً.

ـ قد يقلب المرء نصف مكتبة رأساً على عقب.. لكي يؤلف كتاباً واحداً.

ـ ما يكتب دون جهد أو معاناة يقرأ غالباً دون متعة.

ـ ينبغي على الكتب أن تعلمنا كيف نستمتع بالحياة أو.. كيف نتحملها.

صمويل جونسون

(١٧٠٩ - ١٧٨٤)

ـ بمقدور أي أحمق أن يؤلف كتاباً ممتازاً بطريق الصدفة، شريطة أن يحكي لنا ما سمعه وما رآه بصدق.

توماس جراي

(١٧١٦ - ١٧٧١)

ـ ليس من النادر أن تكون الكتب طلاسم وتعاويذ.

وليم كوبر

(١٧٣١ - ١٨٠٠)

ـ الكتب مرايا صادقة تعكس على عقولنا عقول الحكماء والأبطال.

ادوارد جيبون

(١٧٣٧ - ١٧٩٤)

ـ كان هناك وقت أثر فيه العالم على الكتب، أما اليوم فالكتب تؤثر في العالم.

ـ لعل أكبر اعتراض على الكتب الجديدة أنها تحول دون قراءتنا للكتب القديمة.

جوزيف جوبرت

(١٧٥٤ - ١٨٢٤)

ـ عندما ينشر كتاب جديد فإني أقرأ كتاباً قديماً.

صمويل روجرز
(١٧٦٣ - ١٨٥٥)

ـ أحب أن أتجول وأضيع في عقول الآخرين، فإن لم أكن ماشياً فإني أقرأ، فليس في استطاعتي أن أجلس وأفكر.. لأن الكتب تفكر نيابة عني.

ـ الكتب الحقيقية، وليست تلك الأشياء التي تضمها أغلفة فيظن المحدثون أنها كتب، هي التي يتهافتون عليها اليوم في أندية الكتب.

تشارلز لام
(١٧٧٥ - ١٨٣٤)

ـ ذلك الذي يمتدح كتاباً بما يستحق يأتي في المرحلة التالية مباشرة بعد المؤلف في استحقاق الثناء.

وولتر سافيدج لاندور
(١٧٧٥ - ١٨٦٤)

ـ لقد أضعت حياتي هباء في قراءة الكتب ومشاهدة الصور والذهاب إلى المسرح، وأضعتها كذلك في الاستماع والتفكير والكتابة.. كنت فقط أرغب في شيء واحد يجعلني سعيداً، فلما لم أجده فقد رغبت في كل شيء.

وليم هازليت
(١٧٧٨ - ١٨٣٠)

ـ الكتب كالأصدقاء ينبغي قلتهم وحسن انتقائهم.

ـ كثير من الكتب لا يتطلب تفكيراً من قرائها، ولسبب بسيط جداً.. فهي لم تتطلب مثل هذا التفكير من مؤلفيها، ومن ثم فإن أعظم الأعمال تلك التي تجعل ملكاتنا الفكرية في قمة عملها.

تشارلز كولتون
(١٧٨٠؟ - ١٨٣٢)

ـ كل امرىء كتاب لو عرفت كيف تقرأه.

وليم شاننج
(١٧٨٠ ـ ١٨٤٢)

ـ إذا خرج الكتاب من القلب فإنه يسلك طريقه إلى سائر القلوب.. فالفن والكتابة كلاهما ضئيل الشأن أمامه.

ـ إن كان الوقت ثميناً فالكتاب الذي لا يحسن بتكرار قراءته لا يستحق أن يقرأ على الاطلاق.

ـ إن كل ما اخترعته البشرية أو فكرت فيه أو اكتسبته يرقد على صفحات الكتب.

ـ ترقد في بطون الكتب روح الماضي بأسره، بل صوت الزمان الواضح المسموع، عندما يتلاشى الجسد وجوهره المادي تماماً كالحلم.

ـ الجامعة الحقيقية هذه الأيام هي مجموعة من الكتب.

توماس كارلايل
(١٧٩٥ ـ ١٨٨١)

ـ بيت بلا كتب مثل حجرة بلا نوافذ.

هوراس مان
(١٧٩٦ ـ ١٨٥٩)

ـ إنه كتاب جيد ذلك الذي يفتح على أمل، ويغلق بسرور وفائدة.

آموس برونسون ألكوت
(١٧٩٩ ـ ١٨٨٨)

ـ الكتاب هو الخلود الوحيد.

روفوس تشوت
(١٧٩٩ ـ ١٨٥٩)

ــ الكتاب الجيد في نظر باعة الكتب هو كتاب رائج، وفي نظر محبي الاطلاع كتاب نادر، وفي نظر العقلاء كتاب نافع يثير العقل.

وليم تشيمبرز

(١٨٠٠ - ١٨٨٣)

ــ سيطر على الكتب ولا تجعلها تسيطر عليك.. اقرأ لتعيش ولا تعش لتقرأ.

ادوارد بولور

(١٨٠٣ - ١٨٧٣)

ــ في حين تزودنا الجامعات بالمكتبات فهي لا توفر لنا أساتذة للكتب، ولا أخالنا إلا أكثر إحتياجاً لهذا التخصص.

ــ القارىء الجيد يصنع الكتاب الجيد.

ــ الكتب من أعظم الأشياء متى أحسن استخدامها ومن أسوئها متى أسيء استخدامها.

ــ لا تقرأ كتاباً لم يمض على صدوره عام كامل.

رالف والدو امرسون

(١٨٠٣ - ١٨٨٢)

ــ التجربة وليدة الفكر، والفكر وليد العمل، ولن تستطيع أن تدرس الرجال من الكتب.

ــ لا تقرأ كتب التاريخ واقرأ فقط كتب التراجم، فهي التي تحدثك عن الحياة بعيداً عن النظريات.

ــ المؤلف الذي يتحدث كثيراً عن كتبه بغيض إلى قلوب الناس.. تماماً كالأم التي تتحدث كثيراً عن أطفالها.

بنجامين دزرائيلي

(١٨٠٤ - ١٨٨١)

ـ أشد الكتب حماقة وغباء كالقارب المثقوب على بحر من الحكمة، يتسرب إليه بعضها على أي حال.

ـ أفضل ما في الكتاب ليست الأفكار التي يحويها وإنما الأفكار التي يوحي بها، تماماً كسحر الموسيقي لا يكمن في نغماتها وإنما في أصدائها في قلوبنا.

أوليفر وندل هولمز

(١٨٠٩ ـ ١٨٩٤)

ـ الكتب التي تعينك أكثر هي التي تدفعك إلى التفكير أكثر.

تيودور باركر

(١٨١٠ ـ ١٨٦٠)

ـ لو أمكن كتابة تاريخ سري للكتب، ولو أمكن تدوين أفكار وأحاسيس المؤلف غير المعلنة، فكم من مجلدات غثه تصبح ممتعة! وكم من أقاصيص تافهة تثير القارىء!

وليم ثاكري

(١٨١١ ـ ١٨٦٣)

ـ الكتاب بستان وروضة ومخزن وحفل وصحبة عارضة وصاحب مشورة وجمهرة من أصحاب الرأي.

هنري وارد بيتشر

(١٨١٣ ـ ١٨٨٧)

ـ الكتب التي هي كتب بالفعل هي كل ما نطمح إليه، ولكن لا يوجد في الألف منها أكثر من نصف «دستة».

هنري ثوريو

(١٨١٧ ـ ١٨٦٢)

ـ يتساوى الرجال في نظري حتى يؤلف الواحد منهم كتاباً.

بنجامين جويت

(١٨١٧ ـ ١٨٩٣)

ـ لما كانت الحياة قصيرة، وساعات الهدوء فيها قليلة، تحتم علينا أن لا نضيعها في قراءة كتب عديمة القيمة.

يمكن تقسيم الكتب إلى نوعين: كتب الساعة وكتب كل ساعة.

جون راسكين

(١٨١٩ - ١٩٠٠)

ـ يجب أن تختار الكتب التي تقرأها بعناية فائقة، لأنها كما كتب أحد ملوك مصر على مكتبته «دواء الروح». . فاحرص على الكتب حرصك على أصحابك، فالكتب تؤثر على عاداتك وشخصيتك تأثير الأصحاب.

ادوين باكستون هود

(١٨٢٠ - ١٨٨٥)

ـ من الجائز أن تقارن الكتب بجارك: فإن كان طيباً فلن يدوم طويلاً، وإن كان سيئاً لن يمكنك الخلاص منه بسرعة.

س. د. بروك

(١٨٣٢ - ١٩١٦)

ـ أعلى صور الكمال في الكتب الوضوح والإيجاز.

صمويل بتلر

(١٨٣٥ - ١٩٠٢)

ـ كتاب التراث هو الكتاب الذي يتمنى الجميع لو أنهم قرأوه، والذي لا يرغب في قراءته أحد.

مارك توين

(١٨٣٥ - ١٩١٠)

ـ ليس ثمة كتاب أخلاقي أو لا أخلاقي، بل هناك كتب جيدة التأليف أو رديئة التأليف.

أوسكار وايلد

(١٨٥٤ - ١٩٠٠)

ـ استطاع التعليم أن يفرز أعداداً هائلة من البشر يمكنها القراءة، ولا يمكنها التمييز بين ما يستحق وما لا يستحق أن يقرأ.

جورج تريفليان

(١٨٦٧ - ١٩٦٢)

ـ أمنيتي عندما يقضى نحبي أن يقال «كانت خطاياه كبيرة، أما كتبه فمقروءة»ـ

هيلير بيلوك

(١٨٧٠ - ١٩٥٣)

ـ بدون الكتب يصمت الضمير، وتنام العدالة، وتقف الطبيعة جامدة، وتعرج الفلسفة، وتصاب الآداب بالصمم، وتطوي الظلمة سائر الأشياء.

أ. بارتوليني؟

ـ الكتب الرديئة كالمشروبات الكحولية، فلا هي توفر الغذاء ولا الدواء.. كلاهما مثير: الأولى للعقل والثانية للجسد ويزيد تعاطيها من الاقبال عليها. كلاهما مدمر: فالأولى للعقل والأخرى للصحة والإثنان للروح. وحماية المرء منهما واحدة ـ ألا وهي تجنب كل ما هو مسكر سواء للعقل أو للجسد.

ترايون ادواردز؟

ـ ليس هناك أسوأ لص من كتاب رديء.

مثل إيطالي

ـ عندما تصل إلى الصفحة الأخيرة أغلق الكتاب.

مثل صيني

المـــراجع

Advances in librarianship. vol. 1 —. New York, Academic Press, 1970 —

American Library Association. Satatistics Coordinating Porject. Library statistics: a handbook of concepts, definitions and terminology. Chicago, 1966.

Baker, William D. Reading skills. New York, prentice — Hall, 1953.

Bartlett, John (Comp.) Familiar quotations. London, Routledge and kegan Paul, n. d.

Bell, F. T. and Smith, F. Seymour Library bookselling: a history and handbook of current practice. London, Deutsch, 1966.

Benge, Ronald C. Libraries and cultural change. London, Clive Bingley, 1970.

Buckland, Michael Keeble. Book availability and the library user. New York, Pergamon Press, 1975.

Carey, R. J. P. Library guiding, a program for exploiting library resources. London, Clive Bingley, 1974

Chambers, Aidan. Introducing books to children. London, Heinemann Educational books, 1973.

Cunha, George Daniel Martin. Conservation of library materials. Metuchen, N. J., The Scarecrow Press, 1967.

Dean, John. Planning library education programmes. London, Deutsch 1972.

Delavaney, Emile. For books. Paris, Unesco, 1974.

Encyclopedia of library and information science; editors: Allen Kent and Harold Lancour. New York, Dekker, 1968 — Hyman, Robin (Comp.) A dictionary of famous quotations. London, Evans Beothers, 1976.

Jordan, Robert T. Tomorrow's library: direct access and delivery. New York, Bowker, 1970.

King, Martha L. (Comp.) Critical reading, edited by Martha L. King, Bernice D. Ellinger, Willavene Wolf. Philadelphia, Lippencott, 1967.

Landau, Thomas (ed.) Encyclopaedia of librarianship. 3rd revised ed. London, Bowes, 1966.

Library practice in hospitals; a basic guide, edited by harold Bioomquist and others. Cleveland, Press of Case Western Reserve University, 1972.

Linden, Ronald O. Books and libraries, a guide for students. London, Cassell, 1965.

Lock, R. Northwood (ed.) Manual of library economy. London, Clive Bingley, 1977.

Lubans, John (ed.) Educating the library user. New York, Bowker, 1974.

Mc Colvin, L. R. The personal library. London, Phoenix House, 1953.

Maidment, William R. Librarianship. London, David and Charles, 1975.

Mann, Peter Henry. Students and books. London, Routledge and Kegan Paul, 1974.

Martin, William (ed.) Library services to the disadvantaged. London, Linnet Books and Clive Bingley, 1975.

Mews, Hazel. Reading instruction in colleges and universities. London, Clive Bingley, 1972.

Munson, Amelia H. An ample field: books and young people. Chicago, American Library Association, 1950.

The Oxford dictionary of quotations. 2nd ed. London, Oxford University Press, 1959.

Reading in a changing world; papers presented at the 38th session of the IFLA general Council, edited by Foster E. Mohrhardt. Munchen, Verlag Dokumentation, 1976.

Schauder, Donld E. and Cram, Malcolm D. Libraries for the blind, an international study of policies and practices. Stevenage, Herts., Eng., Peter Peregrinus, 1977.

Schiltman, Maria J. (ed.) The international exchange of publications., Munchen, Verlag Dokumentation, 1973.

Shores, Louis. MarK Hopkin's log, and other essays, selected by John David Marshall. Hamden, Conn., The Shoe String Press, 1965.

Stubbs, Charles F. Wonderful world of books. New York, Mentor, 1953.

Thompson, James. Library power; a new philosophy of librarian — ship. London, Clive Bingley, 1974.

Trinkner, Charles L. (ed.) Teaching for better use of libraries. Hamden, Conn., The Shoe String Press, 1970.

Whittaker, Kenneth. Using Libraries; an informative guide for students and general users. london, Deutsch, 1972.

Wisdom, Aline C. Introduction to library services for library media technical assistants. New York, Mc — Graw Hill, 1974.

المحتوى

الصفحة

الشركة المتحدة للتوزيع


Bibliotheca Alexandrina
1523083